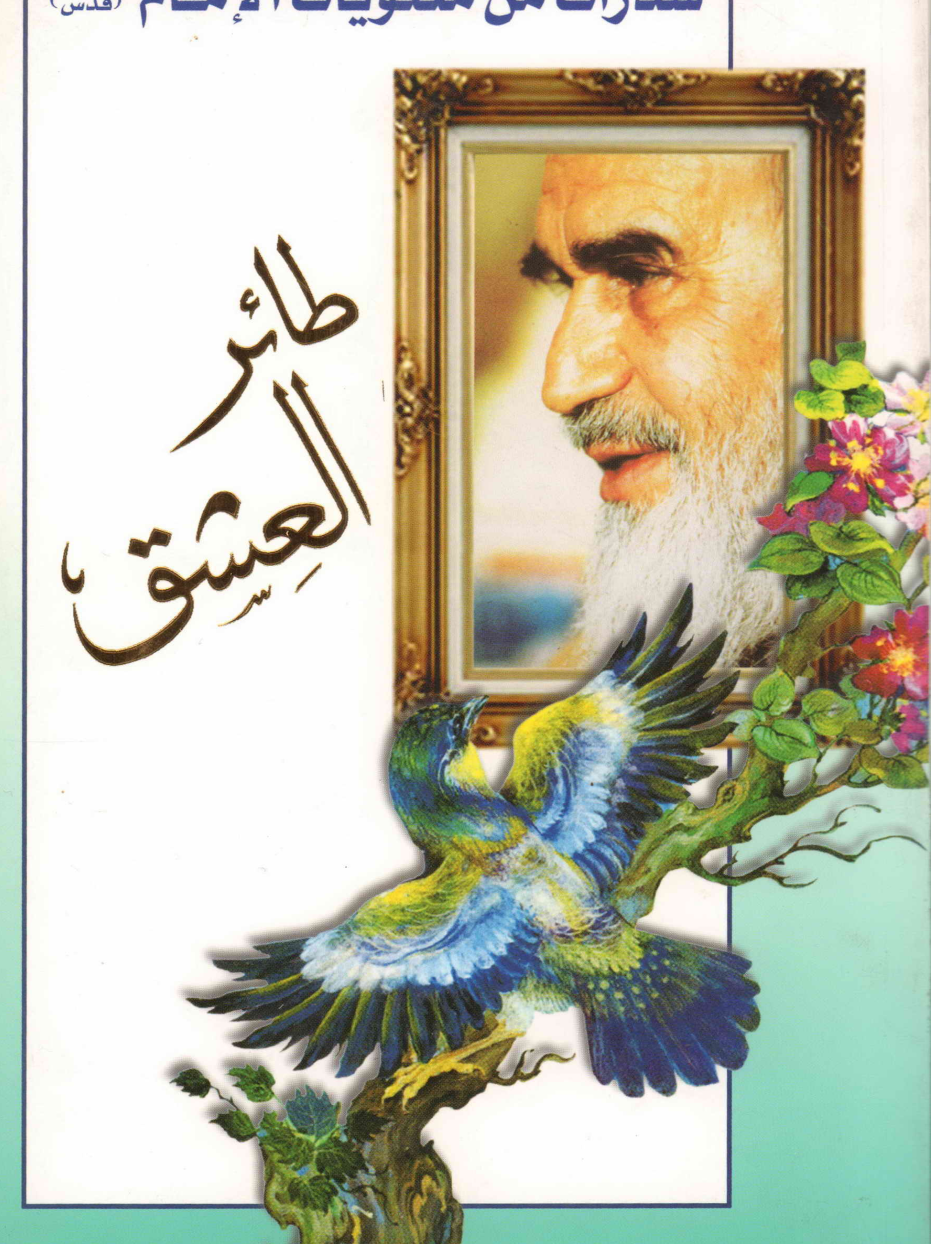
شذرات من معنويات الإمـام (قدس سره)



طائر العشق


بسم الله الرحمن الرحيم

الـكتـاب: طائر العشق

المتـرجم: الشيخ موسى ضاهر

الناشــر: الدار الإسلامية

الطبعـة: الأولى ـ بيروت ـ **2000** م

ترجم هذا الكتاب عن النسخة الفارسية الصادرة تحت عنوان «سيره اخلاقى امام خمينى» .

مركز بقية الله الأعظم (ع) للدراسات والنشر

الدار الاسلامية ـ لبنان ـ بيروت

ت: **03/653070 - 03/569315 - 03/380119**

فاكس: **01/553863** ص.ب : **14/5680**

e-mail: lylas@cyberia.net.lb

: anourdin @ cyberia.net.lb

[illegible] ورق بالكي العالي الجودة، ذو الوزن الخفيف، والغير عاكس لأشعة الضوء.

طائر العشق

شذرات من معنويات الإمام الخميني(س)

مركز بقية الله الأعظم (ع) للدراسات والنشر

المحتويات

الاهـــــداء 12

تمهـــيــد 13

1 الإمام نموذج للإنسان الكامل 15

معــرفــة الإنســان 17

الإنســـان الكـامـل 18

الإنسان الكامل من وجهة نظر القران ونهج البلاغة 19

تجليات الكمال في شخصية الإمام الخميني(س) 20

1. العلم والمعرفة 21

2. الإيمان والاطمئنان 22

3. شرح الصدر 23

4. البصيرة وبعد النظر 24

5. العشق والعرفان 25

6. الهجرة والجهاد 27

2 تهـذيب النفس 29

معرفة النفس والقيم 31

تهذيب النفس وتزكيتها 32

الإمام الخميني (س): الإنسان المهذب 32

1. التقيّد بزي الطلبة 33
2. السيطرة على الغرائز 34
3 . محاربة موانع التكامل 35

3 ▭ التقوى 39

دور التقوى في نجاح حركة الإمام الخميني (س) 41
1. الخوف من اللّه 42
2. التوقي من المعصية 44
3. التقيد بالحقوق 45
4. الاحتياط في العمل 47
5. البعد عن المكروهات 47
6. الدقة في صرف الأموال العامة 48

4 ▭ الاخلاص 49

مظاهر من إخلاص الإمام(س) 51
1. الإخلاص في الهدف 51
2. الإخلاص في الحديث 53
3. الإخلاص في العمل 53
4. الإخلاص في العبادة والتدين 56

5 ▭ التوكل 59

التوكل: العامل الأهم في انتصار الإمام(س) 61
مظاهر التوكل في حياة الإمام(س) 62
1. الجهاد في سبيل الحق 62
2. الثورة الإسلامية 64

3. الظروف الحالكة 65
4. الموقف من العدو 67

6 الزهد وعدم التعلق بالدنيا 69

الإمام الخميني وعدم الرغبة في الدنيا 72
تجليات من تحرر الإمام(س) 73
1 . الكفاف 73
2. الإقتصاد والإعتدال 74
3 . الطمأنينة 75
4 . البعد عن الزينة 77
5. البعد عن الرفاهية 78

7 العبادة والمناجاة 81

الإمام الخميني: العبد الصالح 84
1. في محراب الصلاة 85
2. في ضيافة الله 87
3. في محضر القرآن الكريم 88
4. في محفل السر 91
5. إحياء الليل 92
6. الإهتمام بالمستحبات 93

8 التوسل بأهل البيت (ع) 95

الإمام والتوسل بأهل البيت (ع) 98
1. الزيارة 99

2. التعظيم 101
3. عشق أهل البيت (ع) 102

9 التواضع 105

1. التواضع بين يدي الله 107
2. التواضع للناس 108
3. في المحيط العائلي 111
4. في خندق العلم والمعرفة 112
5. الترغيب بالتواضع ممدوح والابتعاد عنه مذموم... 114

10 حسن الخلق 115

جذور حسن الخلق 117
1. الإيمان الكامل 117
2. التعقل 118
3. الفطرة الصافية 118
القيادة وحسن الخلق 118
الإمام الخميني مرآة حسن الخلق 119
1. مع العائلة 120
2. مع الأصدقاء والأصحاب 121
3. مع الخصوم 122

11 العزة والكرامة 125

طرق اكتساب العزة 128
1. طاعة الله 128

2. التقوى 129
3. اليأس من غير الله 130
4. إقامة الحق 131
5. الفضائل الأخلاقية 131
العزيزُ المعزَ 132

12 الاعتماد على النفس 135

الشخصية المستقلة للإمام 138
1. قبل الإنتصار 139
2. بعد الإنتصار 141
3. تقوية روح الأمة 144

13 الشجاعة 147

الإمام الخميني آسوة الشجاعة 149
1. في مواجهة الطاغوت 151
2. الإمام ودرس الشجاعة 153

14 الشكر 157

الإمام الشاكر 159
1. شكر الله ورسوله 160
2. تقدير الناس 161
3. شكر فئات الأمة وشخصياتها 163
4. التوصية بالشكر 167

15 ▭ مـــــداراة الـنـاس 169

1. قيـادة القلوب 172

2. عـشـق الناس 174

3. مواسـاة الناس 176

4. حفظ الناس فـي ميدان المواجـهة 178

16 ▭ احـتـرام أهل الفضل 181

منهج الإمـام الخـمـيني(س) 184

1. الإحـتـرام الخاص لمراجع التقليد 184

2. تقـدير العلمـاء 186

3. إجـلال الشهداء والمجـاهـدين 188

17 ▭ الـعـطـف 193

الإمام الخـميني(س) القـائد الرحيم 196

1. الشـهـيـد وعـائلتـه 197

2. الأصـــحـــاب 198

3. الـــنـــاس 199

4. الأســـــرة 201

18 ▭ القاطعية والصلابة المنقطعة النظير 205

صلابـة الإمـام الخـمـيني(س) 205

1. فـي مواجـهة الأعداء 206

أ . النظام البـهلوي 206

ب. الإستكبار العالمي. 209

2. في مواجهة المنحرفين 211

أ . الليبيراليون 211

ب. المنافقون 213

3. في مواجهة المتحجرين 213

19 الإحتياط في الصرف من بيت المال 217

1. الاقتداء بالنبي (ص) وعلي (ع) 219

2. الانفاق في حدود الضرورة 221

3. البذل في سبيل الله 223

4. التحكم بأوضاع الحواشي 224

5. الرقابة والتدقيق 226

20 النظام والانضباط 227

1. النظم الفكري 229

2. في ميدان العمل 232

أ . الأمور الاجتماعية 232

ب. الأمور التعليمية 235

ج. الأمور الفردية 238

بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

أهدي عملي إلى من قرأتُه في هذا الكتاب..
ولا أبلُغ!

المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

".. وبعيداً عن المبالغة، ينبغي القول، إن هناك نواح كثيرة في شخصية (صاحب) تلك الروح الملكوتية وذلك الإنسان الفذ الجليل ما زالت مجهولة بالنسبة لنا حتى الآن".

بمثل هذه الكلمات الصادقة لسماحة الإمام القائد دام ظله، نقدم لهذا الكتاب الذي يتناول شخصية الإمام روح الله (س) في شيء من أبعادها، مظهرين كمال العجز عن الاحاطة بكافة جوانبها، والتي تعددت واتسعت لتجعل منه قدس سره تالي تلو الأئمة(ع). كما يعبّر سماحة القائد نفسه ايضاً، حيث يقول:

"لقد كان الإمام أرفع شأناً وأطول باعاً من كل الأشخاص الذين رأيناهم وسمعنا بهم، سوى الأنبياء والأولياء والأئمة عليهم السلام".

إن هذه الخصال التي يعرضها هذا الكتاب، تشكل أصدق دليل على عظمة هذه الشخصية وفرادتها، وسموها المعنوي، وهي بذلك تُظهر عمق عشقه وذوبانه في الحق سبحانه.. وسنترك صفحاته لتتكلم على ألسنة من عرفوه وعشقوه وعاشروه عن قرب، لعل ذلك يكون حافزا على اتخاذ هذه الخصال هدفاً نسير نحوه ومنهجاً نعمل على أساسه.

إن منطق الإسلام في التركيز على شخصية قادته الإلهيين لا ينطلق من دوافع شخصية أو حزبية.. بل هو تأكيد على أهمية الإرتباط بالقدوة وعلى دورها في إيصال عباد الله إليه سبحانه. فعند أهل الله من السالكين الواصلين، يمثل عمل الأنسان صورة لحقيقة باطنه، وانعكاساً لشهود القلب عظمة الله تعالى، وثمرة للعبودية الخالصة.

وعليه، فإن هذه الحقيقة الروحية المعنوية التي تظهر في العمل ليست سوى درجة الكمال التي ينالها الكمّل من عباده، الذين دعا الإسلام إلى اعتبارهم هداة الدرب وأدلاء الطريق إلى حيث السعادة المطلقة؛ وهذا الكتاب ليس سوى محاولة لإظهار صورة هذه القدوة الحقيقية التي ينبغي على الجميع اتباعها والسير على خطاها، لأنها الطريق المستقيم في هذا العصر للوصول إلى الله.

وبهذه الصفحات، نكشف اللثام أيضاً عن هذه الشخصية الفريدة التي عانت طوال حياتها - ولا زالت - طمساً متعمداً وغيد متعمد، حتى صارت في أحسن الأحوال نظيرة غيرها من الرجالات البارزة في التاريخ؛ والحق انه «**من أجل توضيح شخصية إمامنا، ذلك الإنسان الشريف والمسلم المتقي، ليس هناك أفضل من اللجوء إلى القرآن الكريم..**» كما يبين ولي أمر المسلمين حفظه المولى. والكتاب هذا الذي أعدته ممثلية الولي الفقيه، وتفضل مركز بقية الله بنشر ترجمته هو خطوة متواضعة نحو هذه الغاية.

ختاماً يذكر الإمام القائد (دام ظله) أنه: «**في صباح تلك الليلة التي انتقل فيها ذلك الإنسان الفذ إلى جوار رحمة الله.. انتابتني عند الفجر حالة من اللوعة والدهشة، فحدثتني نفسي أن أتفاءل بالقرآن الكريم عن حالة الامام، ففعلت، وإذا بالمصحف الشريف ينفتح على سورة الكهف.. ﴿وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاءً الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً﴾**!! وأنا بدوري قد خطر ببالي أن أفعل كما القائد قبل أن أقفل هذه المقدمة لأرى ما الذي سيحدث به القرآن، فانفتحت صفحاته على سورة التوبة: **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدَّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾**، فهل من مدّكر!.

المترجم

1

الإمام نموذجٌ للإنسان الكامل

قبل المباشرة ببيان حقيقة الإنسان الكامل. من الضروري أن نشير إلى توضيحات مختصرة حول الإنسان: خِلقة وشخصية.

معرفة الإنسان

يمكن أن تتلخص المعرفة بالإنسان في محورين اثنين: خلقة الإنسان وشخصيته.

أ. **خلقة الإنسان**: على الرغم من أن الإنسان ليس سوى حقيقة واحدة. إلا أنه يمتلك ابعاداً متعددة. فقد ابتدأت خلقته من تراب بلا إدراك ولا شعور، وبعد طيّ مراحل مختلفة. وصل إلى الكمال ببعث الروح الإلهية في ذلك التراب. يقول القرآن الكريم: ﴿**وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماءٍ مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه**﴾.[1]

فالله خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأعطاه كل وسائل التكامل. يقول تعالى في الكتاب العزيز: ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾.[2]

ويتحدث الإمام علي عليه السلام بشأن البعض من أعضاء الإنسان، فيقول عليه السلام: «**ثم منحه قلباً حافظاً، ولساناً لافظاً، وبصراً لاحظاً... وأشلاءَ جامعةٍ لأعضائها، ملائمة لأحنائها**».[3]

ب. **شخصية الإنسان:** الإنسان من وجهة نظر القرآن الكريم، خليفة الله ونائبه وأمينه، ومسجود الملائكة. وكل الوجود أرضاً وسماءً، مسخر له، وهو الموجود الوحيد الذي تشكل أربع خصوصيات هامة، شخصيته الرفيعة: «المعرفة» و «الإرادة» و«الهدفية» و «الإبداع». فالإنسان أشرف المخلوقات، ويستطيع أن ينال كماله بواسطة الإيمان والعمل الصالح، أمّا الرغبات الطبيعية والميول الحيوانية فيه، فإنها تشده إلى الذلة والخسران أحياناً، بعيداً عن العزة والكرامة. يقول تعالى في محكم آياته: ﴿**إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات...**﴾.(4)

الإنسان الكامل

الإنسان الكامل هو إنسان تتضافر جميع قيمه الإنسانية لتبرز الرشد، وليصل رشدها إلى الحد الأعلى، وقد عبر القرآن المجيد عنه بتعبير «الإمام». يقول تعالى: ﴿**وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن، قال إني جاعلك للناس إماما**﴾.(5)

الإنسان الكامل في الإسلام هو الشخص الذي يكون متصفاً بالصفات الإلهية، ومتخلقاً بأخلاقه سبحانه، ويكون القرآن المتمثِّلَ والناطق: وبتعبير الإمام الخميني (س): «**الإنسان الكامل هو الحقيقة المحمدية، ولما كان النبي صاحب مقام الجمع، لم يبق من بعده مجال آخر للتشريع أمام أي مخلوق، ومن ثمَّ يكون هذا المقام هو لرسول الله بالأصالة، ولخلفائه المعصومين بالتبع**».(6)

الإنسان الكامل من وجهة نظر القرآن ونهج البلاغة

1. **في القرآن**: إن الرسالة الرئيسية للقرآن المجيد هي إيصال الإنسان إلى قمّة الكمال، وكلٌّ آية من آياته، هي درجات تكامل الإنسان، والتي ترقى بكل إنسان يعمل بها أكثر، إلى الكمال النهائي.

وعلى هذا الأساس، فالفضائل التي وردت في القرآن الكريم، هي خصائص الإنسان الكامل، وحيثما يكون مطروحاً الحديث عن الرذائل وما يُخالفُ القيم السامية، يكونُ الهدفُ بيانَ الآفات التي يمكن أن تطرأ على الكمال، كي يحذرها طالبو الكمال.

وتعداد صفات الكمال وما يقابلها من آفات خارج عن وسع هذه الأوراق لكن نشير فيما يلي إلى ثلاث من خصائص الإنسان الكامل فقط:

آ. هو عبدالله الصبور، والمستقيم في تطبيق الشريعة والعبادة: ﴿**الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**﴾.[7]

ب. مقصد حياة الإنسان الكامل هو الحقّ سبحانه. يخطو بنور الهداية الإلهية. وهو مصباح الهداية للآخرين ووسيلة نجاتهم من الظلمات ومحذرهم دوماً من الغضب الإلهي: ﴿**إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون**﴾.[8]

ج. يواجه الإنسان الكامل أعداء الإسلام بصلابة وقوة. وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم: ﴿**أشداء على الكفار، رحماء بينهم**﴾.[9]

2. **في نهج البلاغة:** للإنسان الكامل من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام خصائص عديدة، ونحن نكتفي بعدة نماذج:

أ. الكُمّل هم أفراد نجباء عفيفون، يغضون الطرف عن فعل المعاصي: «**غضوا أبصارهم عما حرَم الله عليهم**».[10]

ب. هم علماء متزينون بالحلم والعمل الصالح: «**وأما النهار فحلماء علماء أبرار**».[11]

ج. هم أفراد مُجدّون، يَثبتون كما الجبال في كل موقف وامتحان، مثل مالك الأشتر، الصاحب الوفي لعلي عليه السلام، الذي يقول أمير المؤمنين عليه السلام عنه: «**لو كان من جبل لكان فندا، ولو كان من حجر لكان صلدا**».[12]

د. قد عقدوا العهد مع الله أن يواجهوا الظلم ويرأفوا بالمظلوم: «**أن لا يقارّوا على كظَة ظالم ولا سغب مظلوم**».[13]

تجليات الكمال في شخصية الإمام الخميني (س)

بدون شك، كان الإمام الخميني (س)، اسطورةُ الزمان ومحيي الإسلام المحمدي الأصيل، من الأفراد المعدودين الذين استطاعوا بطيّ طريق الكمال أن يستقروا إلى جانب الأولياء الإلهيين، وأن يصير مصداقاً للأناس المتحررين والكُمّل. وعليه، فإدراك جميع الأبعاد الوجودية لهذا الفقيه العارف ليس بالأمر السهل للرجالات العظيمة، فكيف بالأفراد العاديين!.

وما يمنحنا الجرأة على أن نطأ هذا الوادي، هو العشق والتعلق به، والذي قد جبلت عليه أرواحنا. وما يردُ هنا، نذر يسير من الكمالات اللامعدودة لذاك الإنسان الكامل.

1. العلم والمعرفة

إن أحد أهم عوامل ترقي وكمال كل من الفرد والمجتمع، هو العلم أو المعرفة، والذي يرشد الناس إلى السعادة في عتمة الجهل وظلمته: ووجود هكذا ميزة في الأئمة والقادة هو أمر ضروري.

فقد طوى الإمام الخميني(س) المدارج العلمية، ونال درجة الإجتهاد المطلق وأحرز المرجعية العامة. وقد أيده الله تعالى وأنزله منزلة رفيعة: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات**﴾.[14]

كانت حياة الإمام(س) مصداقاً لهذه الآية الشريفة، ويشهد التاريخ أنه قد أنضج ببياناته وكتاباته أفكار المجتمع، وربى بواسطتها أناساً عظاماً وشهداءَ عالي المقام، وصار قلمه وبيانه أفضل من دماء الشهداء أنفسهم. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**يُرجَحُ مدادُ العلماء على دماء الشهداء**».[15]

ويشير أحد تلامذة الإمام بالقول: «**على الرغم من أن سماحة الإمام كان أعظم فلاسفة القرن وعرفائه، إلاّ أنه حينما كان يَرِدُ البحث الفقهي، كان يناقش المطالب الفقهية والروايات والآيات، ويوضحها، كأنك أمام فقيه لا يعلم شيئاً عن الفلسفة، ويبين الأحكام الإلهية بدون تعلق بالفلسفة والعرفان**».[16]

ويقول تلميذ آخر: «**أنا لازلت حتى الآن معتقداً بأن أحداً من العلماء المتقدمين أو المتأخرين لم يكتب مثل كتاب «المكاسب» للإمام، وأن مستوى استنباط الإمام وتدبره وتحقيقه ليس مورد قياس بالآخرين**».(17)

هذا الجهد العلمي، وعصارة فكر الإمام(س) يمكن أن يُفهما من خلال كتبه وبياناته وإرشاداته، وكل واحدٍ من آثاره يستطيع - مستقلاً - أن يُبرز رفعة علمه وأفكاره. فقد كان الإمام الخميني(س) نموذجاً لا نظير له في معرفة الإسلام وعلوم أخرى. كمثل علم الإجتماع العملي، الإدارة والقيادة، السياسة.. وللمثال، فإن حدة نظر الإمام السياسية وبُعدَه، استشرف بشكل أسرع وأفضل من الأجهزة الجاسوسية والأمنية العالمية، سقوط المعسكر الشرقي (الشيوعي)، ورفعَ الستار عن هذه الحقيقة قبل سنة من سقوط أول حصن من حصون الاستكبار الشرقي في رسالة إلى رئيس الإتحاد السوفياتي السابق، والتي أثارت إعجاب العالم.

2. الإيمان والإطمئنان

الإطمئنان أرفع صفة روحية للإنسان في الحياة، والذي ينشأ من الإيمان وعواملَ أخرى، وليس هناك من سعادة أرفع منه. والسكينة الروحية من مميزات عباد الله الكمّل، الذين على أثر اليقين والإعتقاد الصحيح، قد أزالوا تماماً كل الحجب بينهم وبين الله، ووصلوا إلى الطمأنينة، فلا يُعلِّقون القلب باللذائذ، ولا

يضطربون من المصائب. يقول القرآن الكريم في وصفهم: ﴿**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بالإيمان**﴾.[18]

الإيمان واطمئنان الخاطر من أبرز خصال الإمام(س)، وأولئك الذين عرفوه يعتبرون أن الإمام في جميع الحوادث لم يُبتل بالإضطراب ولو للحظة واحدة، فهو كان يمتلك، بالتوكل على الله والإيمان به روحاً قوية وعزماً راسخاً: لأنه وبتعبير الإمام علي عليه السلام: «**أصل قوة القلب، التوكل على الله**».[19]

إطمئنان الإمام كان إلى حدٍّ أنه في الزمان الذي لم يكن فيه أي أمل بانتصار الثورة كان يبشر بالإنتصار. وخلال الهجوم على البلاد، وقصف العراقيين لمطار مهرآباد، قال بهدوء: «**جاء لص ورمى حجرا وذهب**». ويقول بشأن حرب الثماني سنوات المفروضة: «**هذه الحرب كانت نعمة إلهية**». كما ينقل أحد المقربين من الإمام(س) فيما يتعلق بحوادث سنة 1342 هـ.ش، أن الإمام قال: «**على الطريق بين قم وطهران، انحرفت السيارة * فجأة عن الطريق الرئيسي إلى طريق ترابي. فأيقنت أنهم يريدون قتلي. لكن ما لبثت السيارة أن عادت مجددا إلى الطريق الرئيسي. فنظرت في نفسي، فوجدت أن أي تغيير لم يحدث في داخلي**».[20]

3. شرح الصدر

شرح الصدر هو توسعة قوة الروح والقابلية المودعة في وجود الإنسان والتي على ضوئها تتخذ المواقف المتناسبة مع حوادث

الزمان، وتمنع كذلك الإنسان من التسرع في التصميم والعمل. ومن التزلزل في المواجهات. وهذه الصفة الرفيعة هي من العنايات الإلهية التي يمنحها الله تعالى إلى أفرادٍ خاصين، ومن جملتهم رسول الإسلام العزيز . يقول تعالى: ﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾.[21]

وبالنظر إلى الحياة السياسية والإجتماعية والأخلاقية لباني الجمهورية الإسلامية الإيرانية، يمكن أن نلحظ أنه كان قد ورث مثل هذه الميزة من جده ﷺ. فالإمام قد ثبت أمام الحوادث المريرة - كمثل حادثة الخامس عشر من خرداد[22] والنفي. وشهادة ولده، وقضية الرهائن (الأمريكيين). وأحداث سنة ستين وأزماتها. والسنوات الثماني للدفاع المقدس وغيرها - بقلب قوي. ولم يظهر منه أدنى اضطراب أو خوف. يقول أحد أصحاب الإمام: «**عندما استشهد السيد مصطفى. وقف الإمام كالطود. ولم نره يعبس حتى لمرة واحدة. فقط قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون. كنت آمل ان يظل مصطفى مورد نفع للمجتمع**».[23]

وكان شخص غير مؤدب قد أساء إلى الإمام. فقال الإمام بحقه: «**جاء شخص إلى هنا. وقال كل ما في جعبته. وأنا كنت حتى هذا الحين أُحسن إليه**».[24]

4. البصيرة وبعد النظر

في المصادر الدينية. يشار إلى هذه الصفة القيّمة بتعابير مختلفة. تارة تحت عنوان «**التفقه في الدين**». والذي هو نوع من

عمق الفهم المتعدد الجوانب، وتارة أخرى بعنوان «**الفرقان**»، أي وسيلة تشخيص الحق من الباطل. هذه الصفة هي للمؤمنين قيمة أخلاقية، وللقادة شرط النجاح. يقول تعالى: ﴿**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**﴾.[25]

فأولو البصائر من الناس لا يَزلُّون أبداً، وقد امتلك الإمام الخميني(س) الذكاء الحاد والبصيرة، ولهذا كان ينتخب الأسلوب الأنجح في اتخاذ مواقفه. وفي هذا المورد، يقول تلميذه الأبرز، القائد المعظم للثورة، سماحة آية الله العظمى الخامنئي دام ظله: «**كان الإمام الخميني(س) رجلاً حكيماً، ودقيقاً، ومتمتعاً بذهنية رفيعة، وقادراً على استشراف كثير من الوقائع. كان يعتقد منذ بداية الثورة أن يد الله الهادية كانت ترعى الإسلام والثورة**».[26]

ويقول تلميذ آخر للإمام(س): «**كان الإمام يرى المسائل ببصر نافذ، ويدرك حقائق تلك المسائل بذهن إلهي ولياقة تامة منحهما الله له، كما كان يرى مستقبل الأحداث أيضاً**».[27]

5. العشق والعرفان

العرفان بالله وعشقه هما من أعظم الفضائل للأناس الكاملين. فالعرفان يصقل الروح ويمكنها من العروج في هوى الحبيب. ومحبةُ الله هي أرفع إحساس يحيا به قلب الإنسان، ومقدمةُ تلك المعرفة الحقيقية بالرب. والقرآن الكريم يعتبر المؤمنين الحقيقيين عشاق الحق ومحبيه، فيقول: ﴿**والذين آمنوا أشدُّ حبَاً لله**﴾.[28]

القائد الكبير للثورة الإسلامية كان في القمة على هذا الصعيد. فقد فني في الله، وصار يرى نفسه في محضره سبحانه، بل ويشعر بهذا الحضور، ولم يترك أبداً خلواته العرفانية والعشقية، واحياءاته لليالي.

كان الإمام(س) مثالاً لما كان الإمام السجاد عليه السلام قد رجاه في دعائه: «**اللهمَّ إني أسألك أن تملأ قلبي حباً لك وخشية منك**».[29]

ويكتب الشهيد المطهري(قده) حول الإمام(س)، فيقول: «**مما قد يصعب تصديقه أنَّ هذا الرجل الذي يجلس لأيام يُصدر هذه البيانات النارية، يقوم في الأسحار لساعة كحد أدنى يناجي فيها ربه، ويذرف الدمع على مثل تلك الحال**».[30]

وفي مجال العرفان، كان الإمام صاحب فكر ورؤية خاصين، ويعدُّ أعظم عرفاء الزمان، وقد ترك آثاراً قيّمة في هذا الميدان. يقول أحد تلامذته: «**على الرغم من أنَّ حضرة الإمام قد استفاد من مدرسة العرفاء الشامخين، أمثال محيي الدين بن عربي، لكنه في الوقت نفسه كان يمتلك نكاتاً لطيفة اختطفت قصب السبق من محيي الدين. ولذا يجب أن يُعتبر الإمام أستاذاً مؤسساً، حيث كانت لديه مبانٍ عرفانية في مقابل مباني أساتذته**».[31]

6. الهجرة والجهاد

يُظهر البحثُ في تاريخ الإسلام أنّ هذين الموضوعين هما العاملان الأساسيان لانتصار الإسلام في مواجهة العدو: فالهجرة تكون سبب انتشار الإسلام، والجهاد علّة حركة مجتمع المسلمين وحياته، حيث قد أكدّ الله عليهما ورغّب المؤمنين بهما، إذ يقول: ﴿**الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله**﴾.(32)

لقد جسّد باني الجمهورية الإسلامية الإيرانية هذه الآية، واختار الطريق الحق، الذي هو طريق الأنبياء عليهم السلام، واستمر عليه حتى النهاية، على الرغم من جميع الموانع والتهديدات. فقد بدأ الإمام مواجهته ضد النظام البهلوي وحماته منذ سنيّ الشباب، ورفع من وتيرة ذلك في سنة 1342هـ.ش، وحرّك الناس حتى وقعت أحداث الخامس عشر من خرداد حيث أُجبر الإمام على الهجرة إلى تركيا والعراق، ووضع روحه وماله على طبق الإخلاص وتوجه لملاقاة الخطر.(33)

ويقول آية الله صدوقي(قده): «**لعل البعض يتخيل أن بداية نهوض الإمام كانت في سنة** 1341هـ.ش. 1962م. **إلا أن الأمر ليس كذلك. فلو راجعتم كتاب «كشف الأسرار» فسترون أن الكلمات عينها التي أطلقها بعد الثورة، كانت هي نفسها قبل أربعين سنة**».(34)

وعند الخروج من العراق، والهجرة إلى الكويت، يشير الإمام الخميني(س) إلى سعي الدولة البعثية العراقية للحد من فعاليته في متابعة الثورة، فيقول: «**لقد شخّصت التكليف الذي يجب أن أقوم به، ولأولئك الذين يريدون أن يمنعوني من القيام بعملي (أقول) إنني لا أستطيع لأجل البقاء في العراق أن امتنع عن هذا التكليف. فتكليفي هو الثورة، وحيثما يكون ذلك. نوجه الرحال نحوه**».(35)

وفي الوقت الذي كان الإمام في المنفى، وبعيدا عن الوطن، كان يوصي أصحابه أن يزيدوا من شدة المواجهة في الداخل. يقول أحدهم: «**لقد كان الإمام هو الذي قد أمر بنفسه الخطباء أن يشرعوا بالإعتراض صراحة ضد الشاه في مجالسهم، بدء من اليوم السابع من محرم لسنة** 1342 ».(36)

* * *

الأمل هو في أن نطوي طريق التكامل بعــزم راسخ وفي ظل العنايات الالهية، وأن نجعل حياة الإمام الخميني(س) قدوة حياتنا .

2

تهذيب النفس

تتمتع مسألة تهذيب النفس من وجهة نظر الإسلام، بأهمية خاصة، والغاية من وراء ذلك هي أن يربي الإنسان نفسه، وأن يوصلها إلى الكمال والرفعة، وأن يبعدها عن الفساد والخسران، فيُعتقها. يقول القرآن الكريم:﴿**قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها**﴾.[37]

في هذا الفصل، سيشار إلى موضوع معرفة النفس، والقيم، وإلى كيفية تهذيبها والتي هي من الأركان الأساسية، حتى تتضح سيرة الإمام في هذا الجانب.

معرفة النفس والقيم

ليس هناك من شك أن الإنسان ما لم يطلع على ماهية نفسه واستعداداتها وميولها، فإنه لا يستطيع أن ينصرف إلى اصلاحها، وأن يقود زمامها. فالأبعاد الوجودية للإنسان كثيرة، وكذلك احتياجاته. يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام بشأن وجود الإنسان:

«**أتزعمُ أنك جُرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر**»[38]

التعرف على نقاط القوة، كمثل معرفة حقيقة النفس واستعدادها للتكامل... وكذلك على نقاط الضعف، كمثل أهواء النفس الأمارة، وحب الدنيا، الخ، هي امور تحظى بأهمية كبرى

للقيام بتهذيب النفس، حتى يتوجه الإنسان لتدعيم الجانب الإيجابي لديه، ويسعى للقضاء على الجانب السلبي. وليعلمَ في هذا الطريق الصعب والمصيري، القيم وأضدادها من وجهة نظر الإسلام ايضاً، فيقدمَ يد العونِ لتكامله بطرده للمفاسد وتوجهه نحو الفضائل.

تهذيب النفس وتزكيتها

تربية النفس هي من اكثر الأمور ضرورة، وتُنجَز هذه العملية على مرحلتين اثنين: الأولى، تهذيب النفس من المساوىء واجتنابُ المعصية. والثانية، تكميل النفس بتحصيل المعارف والعلوم ومكارم الأخلاق والعمل الصالح. وتعدُّ هاتان المرحلتان لازمتان لتزكية النفس. يقول الإمام علي عليه السلام: «**من أهمل نفسه أفسد أمره**».[39]

الإمام الخميني(س): الإنسان المهذب

من الواضح للجميع، أن الإمام ـ وقبل أي شيء آخر ـ كان عالماً بارزاً جَهِدَ طوال عمره حتى صعدَ في النهاية إلى ارفع مدارج الإنسانية. لقد كانت حياته عملاً متواصلاً، والذي يمكن تقسيمه إلى مرحلتين: تهذيب النفس وبناء المجتمع. ولم تخلُ لحظات عمره أبداً من هذين الأمرين. بل ومثل سائر رجال الله والمصلحين الحقيقيين، كان يقوم بهذين العملين بشكل متوائم.

بشـهادة أصـحـابه والمقربين منه، كـان الإمام مـهذباً فـي جـمـيع ابعاده المختلفة، خاصة في البعد الأخلاقي، حيث يمكن ان يُعدَّ التجسيدَ الظاهر للأخلاق الإسلامية. كان الإمام نموذجاً رائعاً للقيم الرفيعة، يتبدى لكل الأشخاص الذين يريدون أن يشاهدوا نموذج الإنسان المتربي في حضن الإسلام. وفيما يلي، نشير إلى بعض من اساليب الإمام في تهذيب النفس:

1 . التقيَد بزيّ الطلبة

على الرغم من أن آثار الإجتهاد والمرجعية كانت واضحة منذ البداية في شخصية الإمام، إلاّ انه لم ينس حياة الطلبة البعيدة عن الرفاهية، وكان لا يعتني بالمظاهر المادية، وأضحى مصداقاً بارزا لهذا الحديث عن الإمام علي عليه السلام، حيث يقول: «**المؤمن عفيفٌ في الغنى، متنزه عن الدنيا**».(40)

هذه الصفة البارزة في شخصية الإمام ظهرت في ابعاد متنوعة:

أ. العيش البسيط

يقول أحد تلامذة الإمام: «**كان مستوى عيشه وطعامه في مستوى طالب عادي مقتصد، بل أدنى. وأنا كنت اعلم حقيقة الأمر من بعض الأطباء الذين كانوا من مريدي الإمام ومعارفه، حيث كانوا يقولون لنا: اعدوا للإمام طعاما مقويا! ولكنه لم يكن يقبل**».(41)

ويقول حجة الإسلام السيد حميد الروحاني: «**كان الإمام في**

الحياة يلبسُ البسيط، ويأكل البسيط، ويترك الغذاء الدسم الفاخر. كل ما كان يحبه من الطعام في النجف، هو الخبز والجبنُ والجوز».[42]

ب. النفور من المدح والشهرة

يقول أحد أصحاب الإمام: "**بعد وفاة آية الله البروجردي، اقيم مجلس فاتحة من قبل الإمام وعندما دخل الإمام إلى المجلس. أعلن شخص أن هذا المجلس قد اقيم من قبل آية الله العظمى الخميني. فأحضر الإمام ذلك الشخص. وقال له باعتراض شديد: «ما دام هذا المجلس قائما ومستمرا. فليس لديك الحق أن تأتي على ذكر اسمي»**" .[43]

ج. البعد عن المظاهر

يقول حجة الإسلام طاهري خرّم ابادي: "**بعد سنة من رحيل اية الله البروجردي. أردت في احد الأيام ان أخذ الإمام لرؤية احد العلماء. وحالما خرجنا من المنزل. جاء اثنان من الأخوة كي يرافقوه. فقال الإمام: «تفضلوا أنتم! تفضلوا أنتم! فقد كان يأبى ان يلتفوا حوله ويصوروه بصورة احد المراجع»**" .[44]

2. السيطرة على الغرائز

المواجهةُ للميول اللامشروعة. والحدُّ من جموح النفس الحيوانية هو جهاد أكبر. في هذا المجال. كان الإمام سباقا ايضا. فلم تتمكن

النفس الأمارة ان تؤثر على توجهاته الحكيمة. وإن عدم تسليمه امام الأهواء النفسية هو امر ناتج عن اسسٍ عملية أرساها في نفسه، ومن جملتها:

أ. طلبُ اللّه، وترسيخُ محورية وجوده تعالى، كان الهدف الأصلي لأعماله. وان حياته كانت مصداقاً عملياً لهذه الآية التي تقول: ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**﴾. (45)

يقول أحد طلاب الإمام: «**أنا كنت مصراً على ايجاد سر موفقيته، فأدركت انه في كل أعماله وأفكاره واحاديثه لم يكن يطلب اكثر من شيء واحد؛ وذلك الشيء هو اللّه**». (46)

ب. الميل إلى المعنويات والتوجه نحو الآخرة كانت آموراً تلقي بظلها على كل أعماله. وأمّا الدنيا فكان يستفيدُ منها بعنوان وسيلة لتأمين آخرته: وكل من كان يقابلُ الإمام، كان يشاهد نورانيته: يقول أحد اصحابه: «**انتبهت مرة إلى أن مجموعة من الطلاب الجامعيين الفرنسيين كانوا يأتون ليلاً إلى مجلس الإمام، فسألتُ احدهم: هل تفهمون ما يقوله؟ فأوضحوا أننا لا نفهم ما الذي يقوله الإمام، لكن عندما نأتي إلى هنا، ويتحدث. نشعر بالروحانية في انفسنا**». (47)

ويقول حجة الإسلام طاهري: «**لقد كانت نصائح الإمام على الشكل الذي يحرر الإنسان من التعلق بالدنيا وريقها، ويوجهه نحو العرفان والآخرة ونحو اللّه تعالى..**». (48)

3. محاربة موانع التكامل

إن طيّ طريق الكمال، ونيل المقامات العالية ليسا بالأمر السهل والبسيط، بل أمر مهم وصعب. وتوجد في هذه الطريق موانع يجب على الإنسان ان يجاهدها، وإلاّ فلن يصلَ إلى المقصد. يقول امير المؤمنين علي عليه السلام بهذا الشأن: «**جاهد شهوتك وغالِب غضبك، وخالف سوء عادتك، تزكُ نفسُك**».[49]

إنّ باني الجمهورية الإسلامية، قد رفع جميع الموانع من هذا الطريق، ولم يستسلم لها حتى وصل إلى النبع الزلال للحقيقة، فارتوى منه. وبعض هذه الموانع عبارة عن:

أ. **التعلقات المادية**: عند التجوال في رحاب حياة الإمام الغنية بالأحداث والنتائج، نجد أنّ قلبه لم يتعلق بالمال أو المنزل، وأسباب العيش، والأهل والولد، والجاه والمقام.. بل كان عاشقاً لله والإسلام، وضحى بكل شيء في سبيلهما. يقول حجة الإسلام الروحاني بهذا الشأن: «**كان الإمام في الذهاب والمجيء يتحرك مشياً على الأقدام. وفي النجف، كان يمتنع عن اقتناء سيارة، والتنقل بواحدة. وعلى الرغم من الحرارة الشديدة في النجف، والبالغة ٥٠ درجة مئوية، امتنع عن الذهاب إلى الكوفة وشراء منزلٍ بها. لقد عاش حوالي عشرين سنة في النجف الأشرف، لكنه لم ينم حتى ليلة واحدة في الكوفة**».[50]

ويقول أحد اصحابه: «**طوال المدة التي كان الإمام خلالها في النجف، سكن في منزل مستأجر قديم البناء، والذي كان من جهة البساطة مثل منازل سائر الناس العاديين والطلاب**».[51]

ويقول آخر: «**منذ عودة الإمام إلى ايران، وحتى الآن، ليس فقط لم يُضف أي شيء الى ملكه الخاص (بيت من الآجر الخام)، بل رفض ترميم ذلك البيت أيضاً**». [52]

ويقول حجة الإسلام ناصري: «**ذهبنا مرة للعمل في داخل بيت الإمام، فتشوقت كي ارى ماذا يوجد في ثلاجة السيد. فتحت باب الثلاجة، فرأيت أنَ فيها صحن جبنة وقطعة من البطيخ**». [53]

ب. **الكسل وطلب الراحة**: كانت الحياة النورانية والطيبة للإمام رفيقة السعي والنشاط والجهود المضنية. ولم يكن يتوقف عن العمل والجد للحظة واحدة، بل كان نموذجاً ساطعاً لكلام الإمام الصادق عليه السلام، حيث يقول: «**المؤمن له قوة في دين.. وحرص في فقه ونشاط في هدى..**». [54]

وينقل آية الله مظاهري: «**نقل عن الشهيد الحاج السيد مصطفى (قوله): في احدى ليالي النجف كان الطقس عاصفا. والخروج من المنزل صعبا جدا، فقلت للإمام: ليس لدى أمير المؤمنين عليه السلام مكان بعيد أو قريب، والزيارة الجامعة التي كنتم تقرؤونها في الحرم، إقرؤوها هذه الليلة في البيت. قال الإمام: مصطفى! أريدك ان لا تسلبني روح العوام! وتشرف في نفس تلك الليلة بزيارة الحرم**». [55]

ويقول حجة الإسلام ناصري: «**في ذلك اليوم الذي أبلغوه فيه نبأ شهادة السيد مصطفى. ظننا ان الإمام لن يذهب إلى صلاة الجماعة. ولكن رأينا انه ذهب في أول وقتها. ولم يترك مطالعاته**

ولا تلاوته اليومية للقرآن الكريم، حيث قام بكل ذلك كما في السابق». [56]

ويقول احد اصحاب الإمام ايضاً: «**مع كل الإبتلاءات السياسية والاجتماعية، وسائر المسائل التي كانت في فرنسا، لم يكن حضرة الإمام ينام في الأربع وعشرين ساعة اكثر من اربع ساعات. في الساعة الحادية عشرة كان يتوجه إلى الفراش لأجل الراحة. ويستيقظ من النوم الساعة الثالثة بعد منتصف الليل».** [57]

ج. **تضييع الحقوق والظلم:** إن تضييع حقوق الآخرين والظلم هي من الموانع الأخرى للتكامل، والتي تخطاها الإمام ايضاً بكل توفيق. لقد كانت مواقف الإمام العادلة في المسائل الحكومية، والأمور الاجتماعية بين الطلبة، وحتى داخل الأسرة، مشهورة ومعروفة. ولم تلوّث اعماله بالظلم في اي وقت، ولأي سبب.

يقول آية اللّه الأميني: «**كانت لقاءاته مع طلابه جميعاً على نسق واحد، ولم يكن سلوكه ليتفاوت مع البعض منهم دون البعض الاخر، مع الذين كانوا يظهرون تعلقاً به، أو يمتلكون سوابق أكثر؛ بل حتى لم يكن ليفضل طلابه على الطلاب الأخرين».** [58]

ونظرا لأن حضرة الإمام(س) لم يكن مرتاحا في ذلك الطقس العالي الحرارة والجاف، سعى احد اصحابه ليأخذ منه الإذن لاستئجار منزل في الكوفة، فقال الإمام(س): «**أيمكنني ان اذهب الى الكوفة في الوقت الذي تقطن فيه غالبية الشعب الإيراني في الزنازين».** [59]

3

التقــوى

يُعدُّ مفهوم التقوى مفهوماً مقدّساً، وهي مثل جوهرة ثمينة وشجرة مثمرة إن وجدت لنفسها مكاناً في قلب إنسان، فستوصله إلى الكمال. وكذلك، تعتبر التقوى شرطاً أساسياً لأجل قبول الهداية القرآنية: ﴿**ذلك الكتاب لا ريب فيه، هدى للمتقين**﴾.[60]

التقوى وسيلة قوية لرفعة الإنسان، وسبيل ممهد لإيجاد القيم الإنسانية والإسلامية لدى الفرد والمجتمع.

لغةً، هي بمعنى الحفظ والحماية.[61] وبهذا المعنى فهي تُعين الإنسان على أن يحرس نفسه من معوقات التكامل، والمعاصي. وليس من الممكن تحقق التقوى دون إيجاد الأرضية المناسبة لذلك، كمثل التدين، واليقين، وعشق الحق، وروحية خوف الله..الخ. كما أن للتقوى آثاراً من جملتها: البصيرة، والتغلب على الصعوبات، والوصول إلى الهدف، والحرية، والسكينة، وطهارة العيش، والعاقبة الحسنة، والسكنى في الجنّة.. الخ.[62]

دور التقوى في نجاح حركة الإمام الخميني(س)

يمكن القول، وبكل جرأة، أن تمام وجود الإمام الخميني(س) قد جُبل على التقوى الأخلاقية والعملية، وأنه قد نال قصب السبق في ذلك، حيث كان مجاهداً حقيقياً في جميع مراحل حياته،

والذي استقرت التقوى عنواناً بارزاً لصحيفة أعماله. وقد وصل إلى أوج الكمال بجناحي العلم والتقوى، وصار أحد النماذج البارزة لهذه الآية الشريفة: ﴿... **واجعلنا للمتقين إماماً**﴾.[63]

وبحق، فإن الإمام الخميني لم يكن مجرد فرد تقي فحسب، لكنه كان قائد أمة ذا تقوى ومريداً لله تعالى. فبشهادة جميع الأشخاص الذين تشرفوا بمعرفة الإمام. لم تكن همته منزهة فقط عن التلوث بالمعاصي الصغيرة والكبيرة. بل كان لا يدنو من المكروهات ايضاً. ويجب القول أن انتصارات الإمام في جميع المواجهات المختلفة كانت معلولة لتقواه وخصاله البارزة. فنورانية نفسه وعمله الواعي كانا حصيلة تقواه هذه. وقد أعقبت مجاهداته الطويلة للمعصية. والتي كانت في سبيل الله. الهدايةُ والعون الإلهيين.

ففي البدء، تسلّط الإمام على مملكة روحه وقاد زمام نفسه، ومن ثم صار قائداً للعالم الاسلامي: هزم قوى نفسه الأمّارة ثمَّ تغلب على القوى العالمية الشيطانية. وكان انتصاره في ساحات المواجهة الظاهرية مرهوناً بالانتصار في ساحات الجهاد الأكبر، حيث: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا..**﴾.[64]

إنَّ ابعاد تقوى إمام الأمة متشعبة، ونحن نرسم في ما يلي صورة عن بعضها بمقدار الوسع:

1. الخوف من الله تعالى

إن الخوف من الله والأمل بفضله لهما شبيهان بخطي الكهرباء الإيجابي والسلبي، حيث كلما وجدا طريقاً الى قلب الإنسان، فإنهما يبعثان فيه النور والدفء، وينيران الروح، ويظهران الملكات الإنسانية الفاضلة.

الخوف من الله يوجد الإحساس بالمسؤولية ويولد الحركة لدى الإنسان. والقرآن الكريم يمدح عباد الله الصالحين بهاتين الصفتين (الخوف والرجاء)، فيقول: ﴿**ويرجون رحمته، ويخافون عذابه**﴾.[65]

لقد كان القائد الكبير للثورة الإسلامية مصداقاً لهذه الآية، وبحراً من الخوف والرجاء: جميع أمله بالله، وكل توكله عليه سبحانه، وكانت جميع تحركاته تقاس بمقياس طلب الحق تعالى. وبملاحظة جلال الله وعظمته كان الإمام يرى نفسه في محضره، ويشعر بالخوف، ويمثل المصداق المضيء لحديث الإمام الصادق عليه السلام الذي قال: «**من خاف الله، أخاف الله منه كلَّ شيء...**».[66]

وفي الوقت الذي كان الإمام يبكي في جوف الليل، ويرتجف من خوف الله تعالى، كان يرجف العالم بنداءاته وأحاديثه الهادية، ويُذِلّ القوى العظمى المستكبرة، ولم يكن حاضراً في أي وقت أن يغفل للحظة عن الله تعالى.

يقول آية الله صانعي: «**حينما كنا في الماضي ندرس عند الإمام، كنا نذهب صباحاً باكراً الى منزله للسؤال عن حاله، ونتشرف**

بخدمته لعدة دقائق. نفس هذه الحالة من المراقبة التي هي لديه الآن، كانت لديه ايضاً في ذلك الوقت، اي أن الإمام يراقب نفسه دائماً كي لا تبتعد، لا سمح الله، لحظة واحدة عن ربها، ولا تترك العلاقات واللقاءات والشخصيات البارزة أثراً فيه».[67]

وقد نُقل عن الحاج السيد مصطفى(قده) ما يلي: «**توسطتُ عند الإمام لأحد الطلبة، وكنت أريد ان آخذ مالاً من الإمام وأعطيه له، لكن الإمام لم يكترث لذلك، فتوسطت مرة ثانية وثالثة. فقال الإمام في جواب طلبي: مصطفى! إن المال موجودٌ في ذلك الدرج، وهذا أيضا هو مفتاحه.. فخذ كل ما تشاء من المال وأعطه لذلك الطالب، فلا مانع من هذا الأمر بشرط واحد، وهو أن تذهب بنفسك انت إلى جهنمه، أمّا أنا الآخر، فلست حاضرا أن أمنح هذا الطالب، على عدم أهليته، مال سهم الإمام**».[68]

كان الإمام يمتنع حتى عن وضع حذائه على الجريدة، لاحتمال أن تكون حاوية لاسم محمد أو علي عليهما السلام.[69]

2. التوقي من المعصية

يجب أن تزداد مناعة روح الإنسان ـ كما بدنه ـ ضد «ميكروب» المعصية! وإلاّ فإنها ستبتلى بأمراض غير قابلة للعلاج. وخير طريق لسلامة الروح هو التحفظ والاتقاء من المعصية.

يقول الإمام علي عليه السلام في هذا الشأن: «**اجتناب السيئات أولى من اكتساب الحسنات**».[70]

كان باني الجمهورية الإسلامية رائداً في هذا الميدان، حيث لم يكن يَسمح أبداً ان يلوِّث محيط عيشه بالمعصية. وحينما كان يتواجد الإمام في مجلس عام، لم يكن أحد ليتجرأ على الغيبة أو البهتان؛ وكذلك في المجالس الخاصة... ولمرات عدة قال: «**أنا لست راضياً أن يُغتابَ منزلي**».(71)

وكان يمنعُ الأفرادَ بكل قوة من الغيبة. يقولُ أحد طلاب الإمام: «**يوماً، حضر الإمام الى الدرس، وكان مستاءً إلى الحد الذي جعل صوت نَفَسِه مسموعاً، وبدلاً من الدرس قدّم موعظة بليغة، وغادر، ولم يأت بعدها لثلاثة أيام، لأنه كان قد سمع أن واحداً من طلابه إغتاب أحد المراجع**».(72)

ويقول أيضاً: «**منذ أيام الشباب، وفي كل مجلس كان الإمام قد جلس فيه، لم يكن يسمح بأي شكل أن يقعَ أحدٌ في الغيبة. وإن كان شخص ما يتحدث ويريد أن يشرع بالغيبة، كان الإمام يقطعُ الكلام فوراً ويغير مسار الحديث**».(73)

3. التقيد بالحقوق

من وجهة نظر الإسلام، هناك نوعان من الحق يقعان على عاتق كل فرد: حق الله وحق الناس. النوع الأول هي الحقوق التي قد أوجبها الله على عبده وألزمه بها، كمثل الصلاة والصيام والحج.. الخ. والنوع الثاني، هي الحقوق الأوسع نطاقاً والتي تحكم العلاقات فيما بينهم، كمثل الخمس والزكاة والجهاد والأمر

بالمعروف...الخ. وكل انسان مكلّف أن يؤدي الحقوق في وقتها بدون أدنى انتقاص.

يقول الإمام علي عليه السلام في هذا الشأن: «**ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً، افترضها لبعض الناس على بعض**».(74)

إن حياة القائد الكبير للثورة الإسلامية هي مظهر لذلك، حيث لم يدس على أي حق من الحقوق، بل كان يراعي الحق بشدة. ففي أحداث انقلاب «نُوژه»(75) (نُوْجِهْ) طلب أحد الأصحاب المقربين من الإمام أن يلغي حكم إعدام الإنقلابيين، لكن الإمام أجابه على طلبه بالقول: «**مع كل المودة التي أكُنها لكم، لا استطيع أن اقدم رضا الخلق على رضا الخالق... يجب ان يُنفذ حكم الله**».(76)

وعصر كل خميس، كان حضرة الإمام يعطي درس اخلاق في المدرسة الفيضية. في أحد تلك الأيام، فرشوا سجادة في طريق الإمام، فخلع الإمام نعليه حتى لا يدوس في مروره عليها، ولكن دخل احد الطلاب وسار على السجادة بالحذاء، فقال الإمام: «**لا تدخلوا منتعلين الحذاء فالسجادة مخصصة للصلاة**».(77)

وفي مورد حق الناس، كان الإمام يعتبر حقاً أن تشكيل حكومة إسلامية بدون دعم الناس محال، ولذا كان يؤكد بشكل دائم على دور الناس في انتصار الثورة، ويخاطبهم بلغةِ أنهم الأصحاب الأساسيون لها، وأولياءُ نعمة المسؤولين، ويعتبر نفسه خادمهم، ولم يتحدث أبداً عن قيادته وجهاده؛ وكان يسعى حتى في المسائل الصغيرة والعديمة القيمة أن لا يضيّع حق الناس.

يقـول أحـد أصـحـاب الإمـام: «**في أحـد الأيام أراد الإمـام في النجف أن يدخل الى الصحن الخـارجي، وعندما وصل إلى مكان وضع الأحـذية توقف وامـتنع عن الدوس على أحـذية الناس وأمـر أن يجمعوها من الطريق**».[78]

4. الاحتياط في العمل

تعد مراقبة الأعمال، والاحتياط والدقة في تنفيذها الشرط الأساسي للانتفاع بها، وقد تم التأكيد (في الشريعة) على الإحتياط في العمل، على الرغم من النهي عن الوسوسة. يقول الإمام الصادق عليه السلام في هذا المورد: «**خذ بالإحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً**».[79]

وعليه، فقد كان الإمام الخميني شخصاً محتاطاً، ولم يكن يخطو نحو القيام بأي عملٍ دون احتياط. فعلى سبيل المثال: كان لدى الإمام احتياط فوق العادة بالنسبة للأمور المالية، فمثلاً إن كان يريد عصير ليمون، كان يأمر بأن يحضروا مقدار كوبٍ واحدٍ، وكلما كان المتشرف بخدمته يصر على أن يحضر زجاجة، كان يقول: «**كلا! أحضروا المقدار اللازم فقط**».[80]

وقد نُقل عن المرحوم الحاج السيد أحمد (الخميني): «**قُرب الإرتحال، استدعى الإمام أهل بيته، فجئنا أنا وزوجتي وأخواتي الأخريات واجتمعنا حول فراش الإمام.. فقال: إن هذا الطريق طريق صعب بالفعل. كونوا مراقبين لأعمالكم وأقوالكم**».[81]

5. البعد عن المكروهات

كـان الإمـام شـخـصـاً فـريداً في تـرك الأمـور المكروهة وغـيـر اللائقة، وكان دائماً مواظباً على أن يبقى بعيداً عن أدنى عمل غير مرغوب. يقول أحد مدرسي الحوزة العلمية في قم: «**حيث كنت قد اشتركت لأكثر من اثنتي عشرة سنة في دروسه العالية، فإنني لم أر طوال هذه المدة عمـلاً مكروهاً واحـداً يصدر منه، بـل إن كـانت تبـرز شبهةُ غيبـة او كـذب... الخ، كـانت حـالة الإضطراب تظهـر سـريعا عليه**».[82]

«**كـان يـراعي، بشأن المسائل الأخلاقـيـة. وفـي لقـاءاته مـع الآخـرين، صـغـائـر الأمـور الـدقـيـقـة. وبالفـعل، كـان سـلوكـه وتـصـرفـه وسـائـر أعمـاله الأخرى عبرة لنـا**».[83]

6. الدقة في صرف الأموال العامة

لرعاية الأموال العامة وحفظها والدقة في صرفها أهمية خاصة في الإسلام. وإن عمق نظرة قادة هذا الدينِ المربي للانسان بشأن بيت المال، هو من أكثر مقاطع حياة اولئك الرجال العظام منحاً للعبـرة. يكتب الإمـام علي عليه السلام إلى عمـاله في هـذا الشـأن: «**أدقـوا أقلامكم وقاربوا بين سطوركم واحذفوا من فضولكم**».[84]

وقد كـان العلماء العظام يحتـاطون كثيراً في أمر الأموال العـامة، ولم يكن يستفيد كثير منهم من سهم الإمام و«الشهرية».[85] ومن بين هؤلاء، برزت شهرة عامة وخاصة لباني الجمهورية الإسلامية، حيث سيفرد بحث منفصل حول دقة الإمام(س) واحتياطه بشأن بيت المال وصرف الأموال العامة (البحث التاسع عشر).

4

الإخــلاص

يعتبر الإخلاص أحد أرفع مقامات التكامل والسير والسلوك، وأساس سعادة الإنسان وتحرره. وقد أوصى أمير المؤمنين صلوات الله عليه في إحدى خطبه القيّمة بذلك، حيث يقول عليه السلام: **«وأخلص لله عملك وعلمك، وحبك وبغضك، وأخذك وتركك، وكلامك وصمتك»**.[86]

وفي قول آخر يعرّف الإخلاص كإحدى خصال أعاظم الناس من أصحاب الفضائل فيقول ايضاً: **«الإخلاص شيمةُ أفاضل الناس»**.[87]

هذب الإمام الراحل رحمة الله عليه نفسه عن كل الشوائب غير الإلهية من قبيل الرياء والعجب والكبر وسائر الأمور التي تعد موانع أمام الوصول إلى الحقيقة، وسبباً لفساد العمل. وجبل كل وجوده وامتزجت جميع أبعاد حياته بالاخلاص. فكلُّ حركاته، الصغيرة والكبيرة، كانت تنجز باسم الله ولذكره سبحانه، ولم يكن يفكر في شيء سوى في رضا المحبوب.

مظاهر من إخلاص الإمام(س)

بعض مظاهر إخلاص الإمام الراحل هي:

1. الإخلاص في الهدف

إن معيار تقييم جميع الأعمال والسلوكيات الإنسانية يكمن في

الباعث عليها والهدف من ورائها. وبكلام آخر، إن حسن الأعمال وقبحها مرتبط بالمقصد. يقول علي عليه السلام: «**الأعمال ثمار النيات، النية أساس العمل**».[88]

فالإخلاص في الباعث على العمل والهدف من ورائه هو بمثابة الروح في جسم الأعمال، حيث يبعث النشاط في الأعمال ويمنحها وجهتها.

وعليه، فقد كان الباعث الإلهي هو الإكسير الذي حفظ شجرة وجود الإمام المثمرة والمباركة. يقول القائد المعظم للثورة، آية الله العظمى الإمام الخامنئي بشأن شخصية الإمام(س): «**إن أعظم مديح لقائدنا العزيز كان في أن نناديه باسم (عبدالله)**».[89]

كان إخلاص الإمام قد بلغ المرتبة الأرفع، حيث كان يقول بشأن رغبة طلابه وجهودهم التي يبذلونها لأجل إظهار مرجعيته: «**أنا لست راضياً أن يتجاوز حبِّ الأشخاص المتعلقين بي حدود القلب، ولست راضياً أيضاً ان يُظهروا حبهم ذاك. فكل من لديه مودة قلبية لي، فليدع مودته تلك تبقى في داخله، وليس لأي شخص أن يتحرك حتى شبراً واحداً لأجل رئاسة لي**».[90]

ويقول حجة الإسلام مرتضى الطهراني: «**إن أياً من الأعمال التي كان يقوم بها الإمام، لم يكن لها باعث سوى طلب رضا الله تعالى وطاعته، وهذا النوع من الباعث الذي يُعدُّ أرفع صفات الإنسان المؤمن، هو الذي قد أوجد في مسيرة حياته الطبيعية ذلك القدر من الصفاء والنورانية، وصيّر فكره ورؤيته وتشخيصه للأحداث إلهياً**».[91]

2. الإخلاص في الحديث

يُعَدُّ الإمام(س) من مصاديق هذه الآية القرآنية الكريمة التي تقول: ﴿.. **وجعلنا لهم لسان صدق علَيا**﴾.[92]

فقد كان حديثه مليئاً بالمعارف، والإخلاص للحق، وذا تأثير في نفوس طلاب الحقيقة. يقول أحد طلاب الإمام: «**كان لكلماته نفوذٌ كبير في القلب، حيث لا أظن أن أحدا من مستمعي مواعظه امكنه أن ينساها للحظة من اللحظات، كما كانت تستحكم في نفوس بعض الأفراد وتستقر فيها، كأنها دائما نُصب أعينهم.. وكان تأثيره في أرواح المستمعين كبيرا جدا إلى الحد الذي كانت تتغير فيه وجوه الأخوة الطلبة على أثر الإنصات إلى مواعظه**».[93]

«**كان الإمام ملتزما الإخلاص في جميع الأبعاد: في العمل والقول و.. التي هي وليدة الإخلاص في العقيدة والفكر. وقد كان تفكره وتحديده للأمور دائماً إلهياً**».[94]

3. الإخلاص في العمل

الإخلاص في الواقع هو تصفية البيت الذي يجب أن تصدر منه جميع أعمال الإنسان حتى تستقر في رحاب قبول الحق تعالى ورضاه. وقد جاء في الحديث القدسي: «**من أشرك معي غيري في عمله لم أقبله. إلا ما كان خالصاً**».[95]

ولقد زين الإمام وجوده المبارك بذكر الله تعالى، وكان الله عنده هو كل شيء، وقلبه مليئاً بحبه سبحانه. وفيما يلي، نماذج من اخلاصه في مقام العمل:

أ. في موضوع تحصيل العلم والمعرفة، أوضح الإمام، ومنذ البداية انه كان يدرس لأجل أداء التكليف الإلهي، وأن هدفه ليس نيل المقام أو منصب المرجعية. فالعمل بالتكليف هو واجبُه حيث كان يمنع المقربين بشدة من طرحه للمرجعية، ولمرات عدة قال: **«أقسمُ بالله أنني لم أحرك ساكناً لأجل الوصول إلى المرجعية والقيادة، ولكن إن حطت برحالها عندي، فإنني وعلى أساس ضرورة تحمل المسؤولية لن أتهاون فيها».**[96]

ويقول أحد طلابه: « **للإمام حاشية على كتاب «وسيلة النجاة» للسيد أبو الحسن الأصفهاني وكذلك على كتاب «العروة الوثقى». وعلى الرغم من أننا كنا نتردد على منزله، لم نكن نعلم أنَ له حاشية على هذين الكتابين، حيث أن هذا الأمر له أثره عند أي شخص يطمح للمرجعية. فمن يريد المرجعية، فلا أقله أن يُفهم اصدقاءه المقربين أنه قد كتب مثل تلك التعليقات على الكتب الفقهية».**[97]

ب. كان الإمام يسعى في الأمور الإجتماعية أن يقوم بالعمل لله تعالى، كما كان ينفرُ من الرياء والعجب وطلب الشهرة. يقول آية الله صانعي: **«طلب صاحب أحد المعامل في طهران مبلغاً من المال من الإمام، وذلك لمسجد كان قد أسسه. قبل الإمام هذا الأمر**

مكرهاً، ولكن بعد أن اشترط تعيين أحد العلماء من قبله لتولي خدمة المسجد. وعندما بعثه، قال الإمام له: «تكليفكم بالإضافة إلى التبليغ والإرشاد هو أن لا تأتوا على ذكر موضوعين: الأول، أن لا يؤتى على ذكر اسمي في هذا المسجد. والثاني، أن يكونَ لقاؤكم مع باني المسجد بصورة لا تجعله يفكر أننا متعلقون بثروته وماله.[98]

ويقول أحد أصحابه: «تشرفنا بزيارة الإمام، فتفضل الشيخ مهدي الشاه آبادي بالقول للإمام أن فلاناً قد حضر من مدينة همدان وهو من أهل المجاهدة، ولديه تعلق بكم، وأنَه الآن في منزل أخيه في قم، فاذهبوا لرؤية هذا الشخص. فقال الإمام: حالتي لا تساعدني! غير أن الشاه آبادي أصر على طلبه، فقال الإمام: ما ذكرته من أن حالتي لا تساعدني راجع لحرارة جسمي المرتفعة، وطبعاً ليس بالقدر الذي لا يمكنني معه أن أذهب إلى منزله.. لكن لأنني لا استطيع أن أؤدي ذلك بقصد القربة، لا سيما بعدما ذكرتم ما تجشمه ذلك الشخص، ومن أنه مريد لي، فلهذا لا اريدُ أن أذهب إليه».[99]

ج. كان هدف الإمام في الجهاد والثورة الإسلامية، هو تأسيس حكومة الله وتنفيذ برامج الإسلام والقرآن فقط، وقد ثبت على هذا الطريق حتى النهاية. لقد وضع الإمام في الخطوة الأولى للجهاد، وفي أول بيان أصدره، الآية المشار إليها أدناه، كلافتةً لطريقه ومنهجه: ﴿**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله..**﴾.[100]

وفي أوائل المواجهات حيث كانت تصدر البيانات المتعددة، الواحد تلو الآخر، أرسل احد علماء طهران رسالة إلى الإمام في قم، يقول فيها بما أن جنابكم العالي في عداد المراجع، فليس لائقاً أن تصدروا بيانات كثيرة، فقال الإمام: «**أوصلوا سلامي له وقولوا بأنني لا أريد أن أصير مرجعاً، بل أريد أن أعمل بتكليفي**».[101]

وحينما كتب شخص كتاباً ضد الإسلام ومعتقدات المسلمين تحت عنوان «أسرار الألف سنة»، لم يرد على هذا الكتاب أي أحد، فعطل الإمام درسه، وانشغل بإعداد وتأليف رد عليه. وعلى أثر العناء الكثير الذي بذله على هذا الجواب، تضررت عينه الشريفة؛ وكانت ثمرة هذا العناء كتاب "**كشف الأسرار**" الذي رفض(س) أن يشير في طبعاته الأولى إلى اسم المؤلف، وكان يقول: «**لقد كتبت هذا الكتاب لأجل رضا الله فقط..**».[102]

4. الإخلاص في العبادة والتدين

نال باني الجمهورية الإسلامية قصب السبق في هذا الميدان. فقد عرفَ الله وسلّم له كل وجوده، ولم يشرك في عبوديته له تعالى شيئاً أبداً، ووضع خدماته القيّمة على طبق الإخلاص وقدمها إلى الحبيب في محضره. وكان قد قضى عمراً في السير والسلوك إلاّ أنه لم يُظهر ذلك قطُّ.

كان أمثولة من كل جهة في الأبعاد العبادية المختلفة، والشاهد

على ذلك هو بكاؤه بكاء العارف بالله، وخضوعه وإحياؤه لليالي بين يديه جل جلاله، وصحبته للقرآن وأنسه به، والدعاء والنوافل. في المقابل، لم يُرَ أو يُسمع أبداً ـ ولو لمرة واحدة ـ أن الإمام مدح نفسه، أو أشارَ صراحة أو كناية، إلى بعض ما جرى عليه من صعوبات ومرارات في السير والسلوك. وحتى خلال بعض الأوقات، عندما كان يريد أفراد من الذين التقوا بالإمام أن يقولوا بأننا من أهل المعرفة وأصحاب القلوب، كان الإمام ينهي الأمر بطريقة لطيفة جداً، وبكلمة واحدة: «**موفقون**».(103)

كان الإمام حارساً حقيقياً للإسلام، واشترى بالروح ثمناً جميعَ المخاطر والصعوبات، كي لا يصيب دينَ الإسلام أي ضرر. يقول آية الله العظمى الآراكي قدس سره بشأن هذا الأمر: «**إن هذا الرجل لهو رجل الدين، الحاضرُ دوماً على أهبة الإستعداد، والمتهيءُ حتى للقتل ايضاً.. وإن كتاب «كشف الأسرار» الذي كان قد كتبه بوحي من عمق تدينه.. يصح أن نقسم بالله أنه ليس لهذا الرجل الصالح أي غرض فيه سوى ترويج الدين**».(104)

إن سر انتصار الإمام وموفقيته هو العمل في سبيل الله، ومن منطلق العبودية له. يقول قائد الثورة المعظم، آية الله العظمى الخامنئي: «**..كانت النقطة المحورية في عمله أيضاً هي الفناء في الإرادة الإلهية والتكليف الشرعي، ولم يكن مطروحاً أي شيء آخر سوى هذا.. كانت العبودية لله، والتسليم له لأجل رضاه، هي السر الأساسي لنجاحات شعبنا. والإمام كان المظهر الأتم لهذه**

الروحية.. فنجاحه يعود بالدرجة الأولى إلى إخلاصه، فهو في الواقع كان مخلصاً لله، ينجز العمل صرفاً لله تعالى وليس لأحدٍ غيره».[105]

وقال دام ظله أيضاً:

«.. في وقت العبادة، كان يقف في المحراب مثل عابد مخلص، ويناجي ربَه على مثل تلك الحالة من الصدق حتى يقول قائل لقد ترك الدنيا وانصرف إلى العبادة فقط».[106]

5

التـــوكل

التوكل عبارة عن الإعتماد على الله تعالى، وتفويض الأمور وتسليمها إليه سبحانه، ثقة بحسن تدبيره وتقديره. التوكل رصيد ثابت للعمل، يضيء مشعل الأمل في القلب ويمحو اليأس منه، ويوجد الإندفاع والعزم في الإنسان، ويقوي الروح ويمنحها السكينة.

وإن ظهرت حقيقة التوكل على الله في الإنسان، فإن إله هذا العالم يجعله مورداً لعونه، حيث يعلن القرآن الكريم: ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه..**﴾.[107]

وليس التوكل أن يمتنع الإنسان عن السعي وتدبير أموره، بل أنه في عين استخدام قوته والقيام بكل ما يلزم لانجاز العمل، عليه أن يعتمد على الله وحده، وأن يعتبر الله تعالى، عامل النصر الوحيد.

ولتحصيل التوكل أسس عديدة، منها: معرفة الله، واكتساب مراتب التوحيد، والتخلص من مراتب الشرك، واستحضار مراحل الخلقة وربطها بالله والتقوى، وقوة الإيمان.. الخ. وللتوكل على الله درجات ينبغي أن تراعى حتى يصل الفرد إلى أعلى هذه المراتب.

التوكل: العامل الأهم في انتصار الإمام(س)

بنظرة صغيرة إلى جهود الإمام، نجد أن علة ثباته في جميع الأحداث، كانت الاتكال الحقيقي على القدرة الأزلية لرب العالم، وأنه كان قد أودع القلب لدى الله، ولم يكن يعتبر أي شيءٍ مؤثراً سواه. وفي المقابل، فقد حماه الله وصار أعظم ناصر له، وأوصلهُ إلى الانتصارات البارزة.

يكتب القائد الكبير للثورة الإسلامية إلى ولده العزيز في رسالة حول هذا الموضوع: «**بنيّ! عليك بالمجاهدة لتودع القلب عند الله، ولا ترى مؤثراً غيره.. أوليس عامة المسلمين المتعبدين يصلّون في اليوم والليلة عدة مرات - والصلاة زاخرة بالتوحيد والمعارف الإلهية - ويقولون عدة مرات في اليوم والليلة ﴿إياك نعبدُ وإياك نستعين﴾ ويتلفظون أن العبادة والإعانة مختصتان بالله.. إلاّ أنهم يتذللون ويتزلفون لكل عالم وقوي وثري، إلاّ المؤمنون بحق وخواص الحق سبحانه. وأحياناً يتقربون إليهم بأكثر مما يتقربون إليهم به للمعبود.. ويستمدون العون من كل شخص، ويتمسكون بكل قشة من أجل آمالهم الشيطانية، وهم غافلون عن قدرة الحق..**».(108)

مظاهر التوكل في حياة الإمام(س)

1. الجهاد في سبيل الحق

على ضـوء اعـتـقـاده الراسـخ واليـقـينـي، كـان باني الجـمـهـورية الإسلامية يؤكد طوال عمره المليء بالبركات، على التوكل على الله تعـالى والاعـتـمـاد على قـدرتـه. فـالإمـام الـذي قـدّم الكـثـيـر لأجل الجـهـاد في سـبـيل الله، كـان يُذكّـر دومـاً بالإعـتـمـاد على العناية الإلهية والتوجـه إليها، ودعـا الجـميع إلـى ذلك، فكان على أثر هذا التـوجـه ـ كـمـا بلسـان الـنبي ﷺ ـ أقـوى الناس، بل أمّـة في رجل. يقول النبي الكريم ﷺ: «**إن سرك أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله**».(109)

ولقد أثبتَ الإمامُ، بتسليم نفسـه لله تعالى، هذه الحـقيقة طوال مـراحل جـهاده وهو الـذي توجـه بالخطـاب إلى نظام الشـاه الظالم وعـملائه قـائلاً: «**لقد جهزتُ قلبي لتلقي طعنات حراب عملائكم المأجورين، إلاّ أنني لن أكون حاضراً لقبول قول الزور، والخضوع امام جبّاريكم. وأنا إن شاء الله تعالى سأبيّن أحكام الله في كل وقت مناسب، وطالما أملك القلم بيدي، فسأفضحُ كل الأعمال المخالفة لمصالح هذا البلد على الملأ**».(110)

وفي البيان التاريخي والمهم الذي أصدره حضـرة الإمام حول يوم الثالث عشر من شهر خُرداد لسنة إثنين وأربعين هجري شمسي، يتحدث الإمـام عن العقيد مولوي، الذي كان رئيس جهاز السافاك

في طهران، وقائد هجوم الكوماندوس على المدرسة الفيضية، واصفاً إياه «**بذاك الرجل الحقير الذي لن أذكر اسمه الآن، لكن في ذلك الوقت الذي سأصدر فيه الأمر كي يسحبوه من أُذُنه فسأذكر اسمه**».

وبعد يومين، أي في الخامس عشر من شهر خرداد، عندما اعتقلوا الإمام وأحضروه إلى السجن، في تلك الساعة الأولى وقفَ العقيد مولوي على نفس تلك الهيئة المستعلية وقال: «**أيها السيد! لماذا لم تصدروا الأمر كي يسحبوا ذلك الشخص من أُذنه؟!**» وبعد لحظات من السكوت، يقول له حضرة الإمام بهدوء وثبات: «**لم يتأخر الوقت بعد!**».(111)

2. الثورة الإسلامية

بالاعتماد على المعارف الإسلامية، وقدرة الشعب وقيادته الحكيمة، وضع الإمام أسس ثورةٍ تعد من أعجب حوادث تاريخ الإسلام على الإطلاق. كما اقتلع نظاماً ملكياً كان قد حكم إيران لمدة ألفٍ وخمسمائة سنة، وهدى سفينة الثورة المبحرة على أمواجٍ مخيفةٍ وخطيرة إلى ساحل النجاة، مثل قبطان متمرس، معتمداً على الله تعالى. لقد كان أملهُ بالله تعالى دوماً، ولذا فقد هانت عنده كل الصعوبات، لأنه ـ وبتعبير الإمام علي عليه السلام: «**من توكَل على الله، ذلَت له الصعاب وتسهلت عليه الأسباب..**».(112)

والقائد الكبير للثورة، يعتبر أن جميع نجاحاته هي من الله تعالى، ولذا لم يكن ليغفل لحظة واحدة عن عونه ومساعدته.

ومما يُنقل، أنه وخلال أحداث انتصار الثورة الإسلامية، عندما أعلن الحاكم العسكري أن أي شخص يخرج من بيته اعتباراً من الساعة الرابعة بعد الظهر فسوف يُقتل. قال الإمام: **«من الواجب على الجميع أن يكونوا في الشارع في الساعة المشار إليها وعليهم أن يثبتوا»**. أما أصحاب الإمام فكانوا يحتملون أن يحصل هجوم على منزله، ولذا كانوا يسعون في إمكانية تأمين منزل له خلف المدرسة العلوية، ويريدونه أن ينتقل إلى هناك، غير أن الإمام قال لهم: **«أنا لن أخرج من الغرفة. أنتم إن كنتم تخافون فاذهبوا»**.(113)

ويذكر أحد اصحاب الإمام، والذي كان على اتصال بأحداث الخامس عشر من خرداد: **«في تلك الأيام، كانت تصدر تهديدات كثيرة للإمام من جهة الدولة. وفي إحدى المرات التي جاؤوا فيها، قالوا: لقد تقرر أن نعتقلكم الليلة وأن نسجنكم، فمن الجيد أن تغادروا المكان وتذهبوا من هنا، لكن الإمام لم يكن يقبل ذلك أبداً. وفي الليلة التي تلت وقوع حادثة المدرسة الفيضية، حيث كان هناك احتمال أن يذهب اولئك لاعتقال الإمام، في نفس تلك الليلة بقي في المنزل ايضاً ولم يغيِّر مكانه..»**.(114)

3. الظروف الحالكة

لقد تعرضت حياة الإمام في تلك البرهة من الزمن التي كان يواجه الظالمين فيها إلى ضغوطات كثيرة، إلاّ أن جميع الوقائع شهدت على كونه رجلاً فولاذياً، حيث أنه وبالاعتماد على القوة

الغيبية الإلهية لم يُسلِّم قط. لقد كانت روحه العظيمة مثل بحر عميق تستقر فيه كل المنغصات، وامتلك قلباً قوياً مرتبطاً بفضلِ الله تعالى، ولم تستطع أية قدرة أن تحدث فيه خللاً. لقد كان الإمام مصداق هذه الآية الشريفة: **﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾**.[115]

لقد كان في الحقيقة عماد النظام الإسلامي والشعب حيث لم يرتعد أبداً. يقول الدكتور پور مقدس، طبيب الإمام، حول الحرب العراقية المفروضة على إيران: «**إبان قصف الصواريخ الشديد على طهران، تشرفت في أحد الأيام بالذهاب مع الشيخ أنصاري كرماني لخدمة حضرة الإمام، فقال الشيخ كرماني للإمام:** «**إن حالة المدينة جعلت أكثر أهلها يهجرونها، وإن بقي البعض في منازلهم فلأنهم يمتلكون ملاجىء فيها. أمّا أولئك الذين قد اجتمعوا حولك - كما الفراشة حول الضوء - فهم خائفون عليكم من أحداث القصف فاقبلوا منا أن ننقلكم إلى محلٍ آمن**». فقال الإمام: «**أنا لن أنتقل من هنا تحت أي ظرف**». فكرر الشيخ أنصاري طلبه مرة أخرى باكياً. فتبسم الإمام وقال: «**شيخ أنصاري! لقد اشتبهتم في حساباتكم**»...».[116]

ويقول أحد اصحابه: «**إن احدى أجمل ذكرياتنا مربوطة باليوم الذي تقرر أن نتحرك في صبيحته من باريس إلى طهران. جمع الإمام ليلاً كل الأفراد الذين كانوا في محل إقامته، فكنّا حوالي عشرين شخصاً، وقال في أجواء من النصيحة والدعاء والشكر لنا والتقدير لأعمالنا: "لا ترافقوني على هذه الطائرة لوجود**

إحـســاس بالخـطر، فـدعـوا لـي هذا الخطر وحـدي... وفي تلك اللحظة تذكرنا ليلة وداع الإمام الحسين عليه السلام.."».(117)

ويقـول قـائد الثورة المعظَّم آية الله العظمى الخامنئي: «..**لم تكن أصعب الحوادث لتحرك ساكناً في محيط وجوده العظيم..»**.(118)

وأيضـاً يقول أحـد معـارف الإمـام: «**كل حـادث خطير كـان يقع، كالخـامس عشـر من خـرداد، وانقلاب نُوژه (نُوْجِهْ) وشهـادة السيد مـصطفى، لم يكن ليبدل حـالة الإمـام عن المعتـاد أو ليـحدث أي تغيير، لأنه كان يتوكل على الله تعالى»**.(119)

4. في الموقف من العدو

كان أعداء الإمام، والذين كانوا هم أنفسهم أيضاً أعداء الإسلام والثورة الإسلامية، ضعافاً أمام توكله الشديد وروحه السامية. فالإمام لم يستسلم للأعداء تحت وطأة أي ظرف، بل كان يواجههم بكل قدرة وشدة. فثباته واستقامته كانا بلا نظير، وتحركه العملي كـاشفـاً عن الكلام الالهي الذي يقـول: ﴿**يا أيهـا الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا..**﴾.(120)

وفي وقت الحــرب ضــد أعـداء الإســلام، وحين التـعــرض لضـغوطاتهم وحـملاتهم، شكل ملجـأ مطمئناً، ومصدراً للسكينة لمسؤولي النظام والشعب المقاوم.

يقـول القـائد المعظَّم للثـورة، آية الله العظمى الخـامنئي: «**لمرات عديدة، وخلال الظروف الحساسة، كنـا نحن مسؤولو الجمهورية الإسلامية نلتجيء إلى الإمـام. ففي الظروف التي كـان الشـرق**

والغرب متحدين قد وضعانا فيها تحت الضغط - وأنتم العسكريون أنفسكم تعرفون بشكل أفضل أي ظروف صعبة قد تخطينا خلال السنوات الثماني للحرب - كنا في هذه اللحظات الحرجة نراجعه، فكانت نفس النظرة إلى وجهه تمنحنا الطمأنينة والسكينة..».(121)

ويقول ايضاً: «نتيجة لارتباطه المعنوي بالله والتوكل عليه سبحانه، وقف الإمام دوماً مثل جبلٍ، مقاوماً وصامداً، ولم يكن أي شيء ليزلزله. وفي أكثر أحداث هذا البلد وهذه الثورة، كانت جميع الأثقال دائماً على عاتقه، حيث كان يرشد كل المسؤولين وأفراد الشعب خلالها بجملةٍ، ويسقط الاضطراب والضعف.. وبالنسبة لقضية هجوم العراق على إيران، حينما تعرضت كل الحدود الجنوبية والغربية للبلد لحملات جوّية عراقية، حضر جميع المسؤولين والقادة، في حالة من الاضطراب، بين يدي الإمام والتقوا معه للحظات، فاكتسبوا على أثر ذلك روحية مختلفة، حيث خرجوا وأحدهم يقول: «.. نسقطُ العراق» وآخر كان يقول: «نتقدم حتى بغداد..».(122)

«كان الإمام في "نوفل لو شاتو" يمشي كل يوم بعد صلاة الصبح والتعقيبات حوالي نصف ساعة. في أحد الأيام جاء البوليس الفرنسي مضطرباً حيث رأى ان الإمام كان يمشي وحيداً في الشارع، فكانت هذه المسألة أمراً غريباً بالنسبة إليه: كيف أنّ شخصية عالمية، وعلى الرغم من كل هذا العداء لها، تظهر بمثل هذه الجرأة في التجمعات، وتشارك في صلاة الجماعة».(123)

6

الزهد وعدم التعلق بالدنيا

إن أهم مانع من التكامل هو التعلق بالدنيا وارتباط القلب بها، وإن قُدِّر لهذه الحالة أن تسيطر على روح الإنسان، فإنها تُخضع جميع القيم لها، وتحدُّ من آثارها النورانية. ولأجل التحرر من مظاهر الدنيا الخدّاعة والمادية، ليس هناك من طريق أفضل من الزهد والعيش البسيط.

فالزاهد، ولفقدان الرغبة بالدنيا، إنسان حرٌّ يحيا بلا تكلُّف، ويطوي طريق الحياة بلا أدنى تعلُّق. الزاهدُ إنسان ذو مسلك طاهر. يرتقي بنفسه إلى قمة المعرفة، وينظر بفكره المستنير إلى الحياة بأيامها المعدودة من زاويتها الحقيقية: تلك الزاوية المختفية عن نظر عبيد الدنيا والمتعلقين بها.

ومن خصائص أحباب الله تعالى أنهم ينظرون إلى باطن الدنيا، في الوقت الذي يرى الناس فيه ظاهرها، وينصرفون للاهتمام بغدهم وينشغلون بيومهم. فأصحاب الهمم الخسيسة قد تعلقوا بزخرف الدنيا وزينتها، وأضحوا غرقى وحيارى في خضم ظلمات الغفلة ومظاهر الدنيا، والولع بها. لكن المتحررين الزهاد قد أفلتوا من قيد المطامع الموهومة، ونالوا روحاً مليئة بالمعنويات من خلال صفاء القناعة وبساطة العيش.[124]

الإمام الخميني وعدم الرغبة في الدنيا

كان الإمام الخميني من أبرز رجالات هذا الزمان زهداً وتحرراً من عبودية الدنيا.. ومثل ذلك الأمر كان قد أرسى لديه انجذاباً إلى عالم المعنويات وقرّبه إلى ملكوت العالم، وجعله يدرك حقيقة الدنيا وباطنها، حيث لم تُلوَّث نفسه بذرَّةٍ من التعلقات والماديات، فأضحى حرّاً من كل زخارفها وزينتها.

فالإمام لم يكن فراره من الدنيا ومظاهرها مجرد تصور نظري يحمله في ذهنه، بل كان يتحرك عملياً وفي الحياة، وفق هذه الطريق المستقيم ايضاً، سواء حينما كان في النجف أو عندما كان في الغربة مبعداً، أو في ذلك اليوم الذي أخذ فيه بزمام الأمور وصار قائد الثورة، حيث لم يُظهر أي نوع من التغيير في مأكله وملبسه ومسكنه ومصاريفه البسيطة. إن عيشه البسيط طوال عمره، لهو شاهدٌ صدقٍ على روحه العظيمة والزاهدة.[125] لقد كان الإمام متحرراً من الدنيا وعاشقاً ولهاً لله تعالى، حيث كان يُظهر رغبة كبيرة بالآخرة والفضل الإلهي، ويمتلك مثل ذاك الزهد الذي يتحدث الإمامُ علي عليه السلام عنه فيقول: «**أصل الزهد حُسنُ الرغبة فيما عند الله**».[126]

ولم يكن الإمام وحدَه يهتم بامتلاك حياة بسيطة وغير مرفهة، بل وكان يوصي دائماً العلماء والمسؤولين، أن لا يُبتلوا هم أنفسهم بالزينة والمظاهر الفارغة: «**أنا اعتبر أن اكثر نجاحات العلماء وتأثيراتهم في المجتمعات الإسلامية، تعود إلى قيمهم العملية**

وزهدهم، واليوم ايضاً، فإنّ هذه القيم ليس فقط يجب أن لا تودع في بحر النسيان، بل يجب أن يُلتزم بها أكثر من الماضي، فليس من شيءٍ أقبح من حبّ الدنيا لدى العلماء، ولا تستطيع أية وسيلة اسوأ من حب الدنيا أن تلوثهم».[127]

تجليات من تحرر الإمام(س)

1. الكفاف

كتب علماء اللغة في معنى الكفاف فقالوا: «**الكفاف هو أن لا تطلب شيئاً بكثرة، وأن تكتفي بمقدار الحاجة**».[128]

فلو شخّص الإنسان حاجته الحقيقية من المصاريف، ورضي بمقدار الكفاف فإن ذلك يوجد فرصة كي ينصرف إلى الأمور المعنوية وإلى استكمال بنفسه. يقول نبي الإسلام ﷺ: «**ألا أفضلُ الناس عبدٌ أخذَ في الدنيا الكفاف...**».[129]

هذا الحديث الشريف للنبي يدل على أنّه ليس هناك من طريقٍ لبناء المجتمع النموذجي، ولا لتحكيم الثقافة الإسلامية بشأن الإنسان، سوى بالتوقف عند حدود الاحتياجات الضرورية فقط.

ولقد كانت روح الإمام السامية في القمة، في تحررها من القيود المادية، وترفّعها عن الدنيا وقيمها، حيث لم تكن الاحتياجات المادية في نظر الإمام أكثر من وسيلة، ولذا كان يستفيد منها بقدر الحاجة، وينفر من طلب الإزدياد والتكاثر، فنال أعلى منازل الزهد.

يقول حجة الإسلام رحيميان: «**طوال المدة التي كان حضرة الإمام فيها في النجف الأشرف، كان يقيم في مسكنٍ صغير وقديم، حيث استأجر منزلاً في أحد أزقة شارع الرسول، مثله كمثل سائر مئات الطلبة العاديين. وفي جماران كذلك، استأجر بناءً قديماً مساحته تقرب من السبعين متراً**».(130)

ويُنقل عن اخت تشرفت بخدمة الإمام: «**إشتريتُ في أحد الأيام في نوفل لوشاتو أقل من اثنين كيلو من البرتقال. فسألني الإمام حين رأى البرتقال: لماذا كل هذا البرتقال؟ فقلتُ: لأنه كان رخيصاً، اشتريتُ كمية منه لعدة أيام. فقال الإمام: لقد قمتِ بمعصيتين! الأولى، لأنه لم يكن بنا حاجة إلى كل هذا البرتقال، والثانية، أنه لعل في نوفل لوشاتو أشخاصاً لم يستطيعوا إلى الآن أن يحصلوا على البرتقال بسبب غلاء سعره..**».(131)

2. الإقتصاد والاعتدال

الاقتصاد والاعتدال هما معيار الحياة، حيث أنه يجب أن تقاس على أساسهما جميع أمورها وتُقيّم. وليس لرعاية الاعتدال وجه اختصاص بالأمور المالية فقط، بل إنه يستخدم ايضاً في أمور الحياة الأخرى. يقول الله تعالى: ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسطِ..**﴾.(132)

كان باني الجمهورية الإسلامية يستفيدُ بالحد المطلوب من الموارد والإمكانات، ويمنع بشدة من الإسراف والتبذير، والإفراط

والتفريط. لقد كان في هذا الموضوع مَعْلماً منيراً يجب أن يقيس الجميعُ أنفسَهم به، ولا ينحرفوا عن منهجه الوسط؛ فحياته كانت منظمة على أساس الاعتدال، في كل أبعادها.

يقول أحد أصحاب الإمام: «**كان الإمام يعيش في نوفل لوشاتو في مكان ضيّق، فتداولنا مسألة أن يُهيّأ له منزل أكبر، واخترنا منزلاً في إحدى ضواحي باريس الهادئة. كان مكاناً جميلاً جداً وواسعاً. وعندما جُهّز المنزل، سأل الإمام: كيف هو وضع هذا المنزل؟ فبيّنا بأنه منزل فاخر، فقال الإمام: "كلا! لن أدخل إلى منزل كهذا؟"**».(133)

ويقول آية الله إمامي كاشاني: «**كنت أرى أنّ حياة الإمام بسيطة جداً، ويجب أن نضربه مثالاً عالياً للزهد، الذي نعني به الصرف القليل والإنتفاع القليل..**».(134)

وكذلك يقول: «**ما يحضرني على سبيل المثال أنه كان يمتلك عباءة للشتاء، كنا نراها في كل سنة. ففي كل مرة كانت العباءة هي العباءة، والقباء هو القباء، وعباءة الصيف هي عباءة الصيف، أي أنّ اللباس كان على الدوام هو نفسه، لكنه كان نظيفاً دائماً..**».(135)

3. الطمأنينة

يتطلب التوجه إلى الدنيا والولع بجمع حطامها ولذاتها، جهداً وسعياً أكبر، وكلما ازداد الحرص والسعي، ازداد العناء

والإضطراب. فالدنيا المليئة بالمظاهر والأوهام تشغلُ خاطر الإنسان، وتبتليه بتهيئة الوسائل لها، ولكن إن يُقتصر فيها على النفقات بمقدار الحاجة، يسكن الجسد وتطمئن الروح.[136] وكما في حديث النبي الأكرم ﷺ: **«الزهد في الدنيا يريحُ القلبَ والبدن...»**.[137]

وعليه، لم يكن الإمام العظيم بمعيشته البسيطة بحاجة إلى تحمّل العناءات والمخاوف، بل بقي بتحرر روحه سالماً من التشويش والإضطراب، وانصرفَ نحو الحاجات الروحية والمعنوية أكثر، لأنه كان يعتبر أنّ سلامة النفس والقلب مرهونة بالزهد.

يقول أحد اصحاب الإمام: **«عندما كان الإمام على فراش المرض في المستشفى لعلاج قلبه.. هُيء له منزل عادي جداً للسكن. وبعد أن مضت مدة، قال: "هذا المنزلُ ليس مناسباً! يجب أن أذهب من هنا. إذهب وجِدْ لي منزلاً مثل منزل أبيك (من الآجر والطين)، وإلاّ فإنني سأذهب إلى قم" . "وما ينبغي ذكره أن مشكلة المنزل ذاك كانت فقط أن بناءه الخارجيَ مصنوع من حجر!"»**.[138]

ويقول حجة الإسلام ناصري: **«لم يكن حضرة الإمام يولي أهمية لنوع الطعام. كان يحبُ كثيراً الخبز والجبن والشاي، حيث كان في أغلب الأوقات يُشعل «الساماور» بنفسه، ويتناول السحور. وفي تلك الليلة التي أرجعونا فيها من الكويت، ذهبنا إلى أحد الفنادق، وهنا أصررنا على الإمام أن يأذن لنا كي نجلب له طعاماً ولكنه لم يقبل»**.[139]

4. البعد عن الزينة

يرى البعض من الناس حسنَ الحظ في زينة الحياة الدنيا وزخرفها، وهؤلاء يصيرون في الواقع أسرى المتطلبات الثقيلة لمثل هذا النوع من الحياة. وبدلاً من أن تكون الحياة وسيلة للسعادة، ولتمضية أيام عمرهم المعدودة، يبتلون أنفسهم بمصاعبها وتقلباتها. في حين أنّ النبي الأكرم ﷺ يرى حسن حظ العائلة في رفق العيش، حيث يقول: «**إذا أراد الله بأهل بيتٍ خيراً، أرزقهم الله الرفق في المعيشة..**».(140)

كان القائد الكبير للثورة الإسلامية يبتعد دوماً عن المظاهر الخادعة، وقد ربّى نفسه على أن لا تترك الزينة أي أثر عليه. ومع أنه كان يحبُّ الجمال لأنه آية جمال الحق، لكنْ كانت الزينةُ وعبادة الظواهر المادية أموراً مرفوضة عنده، لأنها تؤدي إلى الغفلة عن الله.

يقول أحد المسؤولين عن مكتب الإمام: «**جاءنا اتصال من لجنة استقبال الإمام يفيد بأنه قد نُظِّم برنامج لأجل عودته، ولكي يكون الإمام في أجواء المراسم، أعلِموه بأننا سنفرش المطار، وسنزين.. فقال الإمام بحزم: إذهب وقل للسادة: هل تريدون أن يدخل كُورْش إلى إيران! إن هذه الأعمال ليست ضرورية أبداً. كل القضية أن أحد الطلبة قد أُخرج من إيران، وها هو نفس هذا الطالب يرجع إليها مجدداً...**».(141)

ويقول حجة الإسلام دعائي: «**عاش الإمام في الحياة عيشاً**

بسيطاً دائماً: لبِسَ البسيطَ، أكلَ البسيط وابتعد دوماً عن الطعام الدسم والفاخر، والأغذية المقوّية.. كان يتحرك مشياً في الذهاب والمجيء، ويمتنع عن اقتناء سيارة والتحرك بواسطتها خلال وجوده في النجف، على الرغم من إصرار جميع اصدقائه ومريديه وضغطهم، علماً أن كثيراً من المضحين في دربه كانوا مستعدين أن يوفروا له سيارة كهدية ولو ببذل المهجة والروح، دون اللجوء إلى الأموال الشرعية..».(142)

ويقول آخر: «**لقد كان مستوى عيش الإمام وابنه، الشهيد السيد مصطفى، بمستوى أحد الطلبة العاديين. كان منزلهما قديماً جداً، ولم يكن فيه أية مظاهر أو زخارف. في إحدى الشتاءات، إنهار حائط غرفة الطبقة الثانية لمنزل الإمام، فلم يرض أن يُستبدل بيته، وأشاد مجدداً ذلك الحائط المنهار، وبقي في ذلك المكان نفسه**».(143)

5. البعد عن الرفاهية

تُعتبر الحياة المليئة بالمظاهر والأوهام، والتبذير والإسراف طلباً للرفاه، آفة عظمى للفرد والمجتمع. فحبُّ الرفاهية موجب لنسيان الله والآخرة، ويعقبها قسوة القلب وطلب اللذة وطول الأمل. وأفضلُ طريق لمواجهة ذلك، هو العيش بقناعة، والبعد عن الحرص والترفّه وجمع الحطام. يقول الإمام علي عليه السلام: «**إقنعوا بالقليل من دنياكم لسلامة دينكم...**».(144)

كان الإمام الخميني(س) قدوة قلَّ نظيرها في هذا المجال ايضاً،

حيث دخل في حربٍ مباشرة مع طلب الرفاهية في كل الظروف، ولم يستعبد نفسه للدنيا ومظاهرها؛ يقول حجة الإسلام قرهي: «**لم يكن السيد يمتلك مبرِّداً (مكيّف الهواء) في النجف برغم أن الطقس كان حاراً. البعضُ من الأخوة الذين كانوا قد شُرِّفوا بخدمته، كانوا يُلحون عليه أن يذهبَ ولو لساعة واحدة إلى الكوفة، ليستفيد من الهواء البارد المنبعث من الفرات هناك، لكن السيد لم يكن يقبل**».(145)

ويقول ايضاً: «**لأنّ شرفة بيت الإمام في النجف كانت مظلمة، علّق الأخوة مصباحاً هناك، فقال الإمام: «لا تعلقوا هذا المصباح»..** ثم طلبني الإمام وقال: «**أوَليسَ هذا مالي لا أريد أن تكون مضاءة**».(146)

ويقول حجة الإسلام مهري: «**ذهبت مرة في النجف للقاء الإمام، حيث كان الطقس حاراً، فرأيت الإمام قد جلس في وسط صحن الدار، وبيده منديلٌ يمسح به عرق وجهه. فقلت: سيدنا! لقد جلستم هنا للقراءة! لو تقولوا لهم أن يجلبوا مبرِّداً (مكيِّفاً) إلى هذه الغرفة، فتستطيعون وقتئذٍ أن تقرأوا براحة كبيرة. فقال الإمام بانزعاج تام: «يا فلان! لم أكن أتوقع منكم أن تتحدثوا بهذا الشكل**».(147)

7

العبادة والمناجاة

إن روح العبادة والعبودية هي أن يصير الإنسان بتمام وجوده عبداً لله تعالى، وأن يكون في جميع أفكاره وافعاله تابعاً لأوامره سبحانه، وأن يطلب إرادة الخالق ورضاه في كل عمل.

مثل هكذا عبادة هي هدف خلق الإنسان حيث تشمل جميع نواحي الحياة وكلَّ مراتب الوجود. فالإنسان العابد دوماً، في حال الكدِّ والسعي. والسكوت أو الكلام، في المأكل والملبس. والصحو والمنام. والعمل أو الفراغ، والوحدة أو الإجتماع، لا يفكر سوى بالمعبود الحقيقي. بل ليس لغير الله وجود في قلبه حتى يراه أو ينجز عملاً له. وبتعبير الإمام الصادق عليه السلام: «**القلبُ حرم الله، فلا تُسكن حرم الله غير الله**».[148]

على الرغم من أنّ جميعَ أفكار الإنسان وتصرفاته يمكنها أن تصبغ نفسها بلون إلهي ووجهة عبادية، ولكن للعبادة في عرف الشرع أقسام بُيّنت في الفقه، وشرائط لها قُررت في محلها من قبيل: الخلوص، معرفة الله ومعرفة أوامره ونواهيه، اليقين، التقوى. المدخول الحلال، وذكر الله على كل حال.[149] وللعبودية كذلك. مراتب أدناها أداء الواجبات وترك المحرمات، وأعلى من ذلك رعاية المستحبات وترك المكروهات والتقيّد بالعمل الصالح. وفي مرحلة أخرى. أن لا يرى غير الله. ولا يُقدِّم رِجلا أو يؤخرها إلاّ في مرضاته.

الإمام الخميني: العبد الصالح

كانت العبادة من وجهة نظر الإمام براق عروجٍ يستطيع بواسطتها أن يقترب من ربّه، وأن يُطهر قلبه من الأدناس ويتنفس في فضاءٍ إلهي سليم، ويُحرر روحه من القيود غير الإلهية. لقد أحرز الإمام بعبوديته اليقين الأصيل، وبقي بعيداً عن الشك والخيالات الواهية والظنون المقيتة، وصنعَ لنفسه قلباً سليماً، وروحاً مطمئنة وباطناً نورانياً، وصار فانيا في اللّه وعاش كل حياته في محضره عز وجل.

لقد دعا اللّه بلسانٍ غير مُراءٍ ونيّة خالصة، وكان الذكر والزيارة والتلاوة وترانيم العشق رفاق حياته. والصيام المجهدُ في حر النجف والنوافل اليومية والليلية كانا صيقل روحه، فلم يكن ليُفطر قبل أن يصلي الصلاة مع النوافل أو لتغمض عينه أبداً من الكرى طلوع كل فجر. وفي الحقيقة، لسنا ندعي جزافاً إن قُلنا بأن لحظات عمره الثمينة هي لحظات عبادة. لأنه قد عرفَ اللّه وسافر نحوه بقدم العبودية، حيثُ يُعدُّ ذلك، كما في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، أفضل العبادة: **«أفضلُ العبادة، العلمُ باللّه والتواضع له»**.(150)

يقول حجة الإسلام فردوسي پور: **«كان لحضرة الإمام نحوٌ من التقيد بالعبادة، لعله كان يثير للبعض هذا التساؤل: أنه كيف يتأتى لشخص مسؤول، يريدُ أن يزيل النظام الموجود (نظام الشاه) كلية، أن يصرف مع كل هذه المشكلات، مقداراً كبيراً من وقته في العبادة»**.(151)

وكان المرحوم حجة الإسلام السيد أحمد الخميني يقول: **«بالحدِّ الذي قد تواصلت فيه مع أصدقاء أبي - وقد سألت أمي ايضاً - رأيت أن الكل مجمعون على القول بأنه كان للإمام رابطة خاصة مع ربّه. لقد فني في ربّه وكان يتحدث عن معشوقه بشكلٍ تقشعر له الأبدان».**[152]

ويقول أحد أصحابه: **«بناءً على اعتراف الكثيرين من الإخوة الملتزمين الذين كانوا قد ارتبطوا به لسنوات طويلة عن قرب، كان الإمام دائم الذكر، وذا قلب مطمئن ينبض بذكر الله بشكل متواصل، لكن لم يُلحظ ابداً أن الإمام كان يحرك شفتيه متمتماً بالتسبيح...».**[153]

إن وصف عبادة ذلك العارف الحكيم ومناجاته، أمرٌ خارج عن قدرتنا، لكن فيما يلي ننصرف لبيان شيء من زلال عبادة ذلك الرجل الإلهي، حتى نتلمس - نحن أتباع ذلك الإمام المحبوب - طريقاً إلى الله، ونسير في السبيل الذي سار فيه ذلك القائد.

1. في محراب الصلاة

لقد كان للصلاة في نظر الإمام أهمية خاصة، تعرج روحهُ المشتعلة بها[154] إلى الله، وتكتسبُ روحه المتعبة القوة منها.[155] كانت الصلاة قرّة عينه،[156] حيث سبَرَ برؤيته الملكوتية غور أسرارها المخفية، وأعلنها على الملأ في كتاب **«سر الصلاة»**، وعرف بعينه الغيبية آدابها وسننها الواقعية، فخلَّدها ايضاً بنثرٍ

بديع في كتابه «**آداب الصلاة**». وفي الحقيقة، لقد فصَّلَ لنا تلك الآداب والأسرار الواقعية التي كان يطويها في عروجه، ولذا يجب أن يُلتمس سر صلاته في هذين الأثرين النفيسين يقول الإمام:

«**بنيّ! ما في هذا المعراج، هو الغاية القصوى لآمال أهل المعرفة، والتي أيدينا قاصرة عنها (العنقاء ليست صيداً لشخص فارفع الفخ)*، لكن لا يجب أن نيأس من عنايات الله الرحمن جل وعلا، نصير الضعفاء ومُعين الفقراء**».(157)

وكان معتقداً أنّ: «**براق سير أهل المعرفة ورفرف عروجهم هي الصلاة، ولكل واحد من أهل السير والسلوك إلى الله صلاة مختصة به، وله من صلاته حظ ونصيب على حسب مقامه، كما أن غيرها من المناسك كالصوم والحج هو كذلك..**».(158)

وفيما يلي نرسم، على قلة الباع، صورة شيء من العظمة والرفعة الروحية للإمام العزيز:

يقول حجة الإسلام الأشتياني: «**كان الإمام يقف للصلاة في أول الوقت، ويقيمها بخشوع وخضوع وحضور قلب..**».(159)

ويقول أحد طلابه: «**ذهبنا إلى طهران لزيارة الإمام، وحينما وصلنا إلى منزل السيد اللواساني كان وقت الظهر قد حان. وعلى الرغم من أننا كنا متعبين من وعثاء السفر وقد وصلنا للتو، لكن الإمام وضع كل تلك المسائل جانباً، والمسألة الوحيدة التي أولاها الأهمية كانت إقامة صلاة الظهر**».(160)

ويقول أيضاً حجة الإسلام فرقاني: «**في يوم شهادة السيد**

مصطفى، حيث كان جميع العلماء قد حضروا إلى منزل الإمام لأجل تقديم العزاء، وكانوا يبكون، وقف الإمام عند وقت آذان الظهر وتوضأ وقال: «أنا سأذهب إلى المسجد»! ففي ذلك الوقت، لم يكن أحد يعتقد بأنه سيذهب إلى المسجد».(161)

2. في ضيافة الله

كان لشهر رمضان، شهر الضيافة الإلهية، قيمة خاصة لدى الإمام. يقول حضرته بهذا الشأن: «إن ضيافة الله هي نفس معدن العظمة ذاك. فالله تبارك وتعالى قد دعا عباده للورود إلى معدن النور والعظمة، لكن إذا لم يكن العبدُ لائقاً فإنه لا يستطيع أن يردَ ذلك المقام العظيم والجليل. الله تعالى قد دعا العباد إلى جميع الخيرات والكرامات والكثير من اللذات المعنوية والروحية..».(162)

ويقول كذلك: «لا يكون معنى الصيام فقط الإمتناع والإمساك عن الأكل والشرب، بل يجب ايضاً الإمتناع عن المعاصي. هذا الإمتناع هو من آداب الصيام للمبتدئين، أما آداب الصيام لأهل الحق الذين يريدون أن يصلوا إلى معدن العظمة، فتكون غير هذه».(163)

الإمام نفسُه كان من أهل الحق، حيث وصل إلى معدن العظمة الإلهية باتباع برنامج منظم. ولقد نظر بعين التحقير إلى كثير من لذّات الدنيا، ومنع روحه عن التلوث بها. وبحق قد صامَ أنفع

الصوم. قال الإمام علي عليه السلام: **«صومُ النفس عن لذّات الدنيا أنفع الصيام»**.[164]

يقول حجة الإسلام الأشتياني: **«كان للإمام برنامج خاص للأشهر الخاصة كمثل شهر رمضان، بحيث لم يكن يُنشد الشعر في هذا الشهر العزيز أو يقرأه أو يستمع إليه، بل كانت حياته تنحو منحى خاصاً ومتناسباً مع هذا الشهر المبارك.. بالشكل الذي كان يقضي كامل هذا الشهر في تأدية المستحبات المرتبطة بشهر رمضان»**.[165]

ويقول ايضاً: **«في شهر رمضان كان يأتي بالصلاة والدعاء من الليل حتى الصباح، وبعدما يصلي صلاة الصبح ويستريح قليلا، كان يَجهَزُ باكراً للقيام بأعماله»**.[166]

ويقول حجة الإسلام الروحاني: **«مع ذلك السن والضعف المفرط، كان حضرة الإمام في شهر رمضان، وفي طقس النجف الحار البالغ خمسين درجة مئوية، يصومُ ثماني عشرة ساعة، ولم يكن ليفطر قبل أن يصلي صلاتي المغرب والعشاء مع نوافلهما»**.[167]

3. في محضر القرآن الكريم

كان للإمام رابطة مستمرة مع القرآن الكريم، وقد أخذَ من محضره فوائد جمة. وكان الإمام من عداد مفسري القرآن الكريم حيث قد روّى روحه من حقائق القرآن العميقة والبعيدة الغور،

وسعى بشدة في تطبيقها ايضاً. ولقد استأنس بالقرآن الكريم من خلال أمور ثلاثة: التلاوة والتدبر والعمل.

أ. التلاوة

كانت روح الإمام الثائرة والهادرة ترقى بتلاوة آيات الله، وتجد السكينة على شاطىء الوحي الإلهي، فتلاوة الآيات السماوية كانت تمنحه اللذة المعنوية وتلهمه، ويستنير من معارفها الأصيلة. يقول أحد طلابه: «**كان حضرة الإمام يقرأ في شهر رمضان عشر أجزاء كل يوم، أي أنه كان يختم القرآن الكريم كل ثلاثة أيام**».[168]

كان الإمام ابن القرآن الكريم، وقد تعلم منه:

﴿فاقرؤوا ما تيسّر منه﴾[169]

يقول حجة الإسلام أنصاري: «**كان الإمام يقرأ القرآن الكريم مرات عدة يومياً بصوت ملكوتي، عادة بعد صلاة الصبح، وقبل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، أو في كل فرصة أخرى...**».[170]

ب. التدبّر

كان الإمام يقرأ القرآن الكريم بتدبر وتأمل، ويتلمس بواسطة التفكر فيه بواطن الآيات ودعواتها، ويستخرج مثل الغواص الماهر من البحر اللامتناهي لحكمها النفيسة، الجواهرَ الغالية والقيّمة في أي موضوع. يقول القائد الكبير للثورة الإسلامية في مورد التفكر والتدبر في القرآن: «**تدبُّر القرآن الكريم، هذا النبع الزلال**

للفيض الإلهي، وإن كان في مجرد قراءته - الذي هو رسالة المحبوب للسامع المحجوب - آثار طيبة.

فالتدبّر فيه يهدي الإنسان إلى المقامات الأرفع والأعلى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾،[171] وطالما أنّ هذه الأقفال والقيود لم تكسر، فلن تتحقق النتيجة المرجوة أيضاً من التدبر.. ولا تيأس حيث أن اليأس من الأقفال الكبرى. واسعَ بالقدر الميسور في رفع الحجب وكسر الأقفال لأجل الوصول إلى الماء الزلال ومنبع النور».[172]

ج. العمل بالقرآن الكريم

كان ذاك العارف الفريد، سبّاقاً في هذا الميدان. فقد أقام بناء الإسلام بالفكر القرآني مجدداً، ومنح بماء حياة القرآن الكريم، الحياة مجدداً للأمة الإسلامية. لقد أرسى الإقتصاد والسياسة والثقافة والقانون.. بالفكر القرآني؛ ولأجل ديمومة كل ذلك، أشاد الجمهورية الإسلامية.

وفي الحقيقة، كان الإمام التجسيد العملي لآيات القرآن الكريم، حيث صرفَ عمره لحظة بلحظة معه، ولاءم بينه وبين حالاته المعنوية وميزان أعماله. يقول القائد المعظم للثورة، آية الله العظمى الخامنئي: **«إننا لأجل تبيين شخصية إمامنا، ذلك الإنسان العالي المقام، نلجأ إلى القرآن الكريم، ونبحث عنه ما بين آياته الهادية التي قد رسمت صورة عباد الله الصالحين..».[173]**

فالحقُّ أنّ هذا الإبن الرشيد للقرآن كان يبكي دماً لمهجورية القرآن الكريم بين المسلمين، ولأن الأحكام النورانية لذلك الكتاب العزيز لم تكن تُتبع: «..**من المسائل المؤسفة التي يجب أن يبكي المرء لها دماً هي التي بدأت على إثر شهادة حضرة علي ﷺ. فقد استخدم عبّاد الأنا والطواغيت القرآن الكريم، وسيلة لأجل تأسيس حكومات غير قرآنية.. وقد وصل العمل إلى مرحلة صار معها دور القرآن الكريم بيد الحكومات الجائرة وعلماء السوء الأسوء من الطواغيت، وسيلةً لإقامة الجور والفساد، ودعم الظالمين ومعاندي الحق تعالى. ومع الأسف لم يكن للقرآن - هذا الكتاب المصيري في يد الأعداء المتآمرين، والأصدقاء الجهلة، دورٌ سوى في المقابر ومجالس الأموات وليس له اليوم دور سوى ذلك..**».[174]

4. في محفل السرّ

كان الأمام الخميني(س) يشير إلى الأدعية التي وصلتنا من أهل البيت عليهم السلام (إلينا) بوصف «**القرآن الصاعد**»، ويقول: «**نحن نفخر بأن الأدعية المحيية، والتي يدعونها بالقرآن الصاعد، هي من أئمتنا المعصومين عليهم السلام**».[175]

وقال أيضاً: «**لقد بيّن الأئمة الطاهرون كثيراً من المسائل بلسان الأدعية.. وأكثرها من المسائل المعنوية، وما وراء الطبيعة، والمسائل الإلهية الدقيقة، وكل ما هو مرتبط بمعرفة الله تعالى. ولكن نحن**

نقرأ الأدعية حتى آخرها، دون أن نتوجه مع الأسف إلى هذه المعاني، وأساساً لا نفهمُ ما الذي يريدون أن يقولوه».(176)

من هذه الجهة، كان للإمام أنسٌ خاص مع الدعاء، وأحدُ الكتب الذي كان دوماً في متناول الإمام هو كتاب الدعاء. كان هذا العظيم يمدُّ يد الفقر إلى محضر الغنيّ في كل وقت، ويُنزِلُ بالقرآن الصاعد الألطاف الإلهية على الوطن والشعب لأن القرآن الكريم يقول: **﴿قل ما يعبؤا بكم ربَي لولا دعاؤكم﴾**.(177)

كان إمام الأمة خلال شهر رمضان المبارك، يقوم بالعبادة والصلاة والدعاء من الليل حتى الصباح.(178)

يقول حجة الإسلام أنصاري: «**كان الإمام يقرأ دعاء كميل في بعض أوقات الليالي.. ولمراتٍ عديدة، في المنزل الواقع في شارع الأسير شميران، وجدنا الإمام مشغولاً بالدعاء بصوت ملكوتي يذكّر بلحن تسبيح الملائكة».**(179)

ويقول أحد طلابه: «**كان يناجي ربَه كمثل من اعتزل الحياة في الظاهر، وتوجه نحو العبادة فقط».**(180)

ولكن الدعاء والعبادة لم يَحدّا أبداً من النهوض بالمسؤوليات الثقيلة والمجهدة لقيادة حركة التغيير والثورة. بل زادا من قدرته.

5. إحياء الليل

كان للتهجد والمناجاة في قلب الليل حلاوة وجاذبية خاصة لدى القائد الكبير للثورة الإسلامية. ففي الوقت الذي كانت تغفو فيه

كل العيون، كانت عينه وقلبه يقظين ومشغولين بذكر الحبيب. ولم يهدر الإستفادة من الليل، حيث كان يخصص جزءً منه للعبادة.

يقول القرآن الكريم في وصفه ووصف أمثاله: **﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون﴾**.[181]

كان الإمام يصلي صلاة الليل في كل عشية، كيفما كان حاله.[182] فحتى في الطائرة التي كانت تشق طريق العودة من باريس إلى طهران، قام الإمام من مكانه، بعد ثلاث ساعات من الطيران، وتوجه نحو القسم الأعلى للطائرة كي يصلي صلاة الليل.[183]

لقد كانت صلاة الإمام ومناجاته وبكاؤه وأنينه في جوف الليل على نحوٍ يجعل كل إنسان متوجه إليه، يبكي دون اختيار.[184]

6. الإهتمام بالمستحبات

من وجهة نظر الإسلام، تعتبر المستحبات تتمة للواجبات ومكملة لها، وتوجب مغفرة الذنوب ونيل الأجر الكثير، ولها دور بارز في ازدياد درجات الآخرة. يقول الإمام الصادق عليه السلام بهذا الشأن: **«من سمعَ شيئاً من الثواب على شيء فصنعه كان له»**.[185]

كان باني الجمهورية الإسلامية، سباقاً أيضاً في الإهتمام بالمستحبات. كان يسعى أن ينجز العمل الذي له ثواب خلال كل أوقاته وأن لا يبقى محروماً من أجره. كان لديه توجه أكيد للقيام بالمستحبات، كمثل صلاة الليل التي لم يتركها في المرض والصحة،

في السجن والمنفى، وفي الطائرة..[186] وكان يغتسل غسل الجمعة قبل آذان الظهر في يوم الجمعة، ويتعطر عند وقت الصلاة.. ويحافظ على وضوئه في كل آن، ويأتي بتمام أجزاء الوضوء متجهاً إلى القبلة.[187]

إن رسم صورة عناية الإمام بالمساكين، وتواضعه لعوائل الشهداء، وإحسانه وإنفاقه وصدقاته، خارجة عن وسع هذه الأوراق.

8

التوسل بأهل البيت (ع)

للتوسل في الثقافة الشيعية قيمة عالية جداً، وله جذر في أصل «**الإمامة**» الاعتقادي، وهو مستخرج من آيات القرآن الكريم.

فمن وجهة نظر الشيعة، يجب على المسلمين أن يسترشدوا في جميع برامجهم الفردية والإجتماعية بالمعصوم، ومن خلال هذا الطريق تستقر العلاقة بين الله والناس، وإلاّ فإن ضلالتهم قطعية.

يقول القرآن المجيد بشأن التوسل في الأعمال الإجتماعية، والذي هو نفس اتباع المعصوم واطاعته: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾.(188)

«**حبل الله**»، والذي هو كناية عن وسيلة الإرتباط بالله، يُراد به «**القرآن الكريم**» و «**العترة**»، وقد ورد الحديث المعروف بحديث الثقلين - الذي هو من الروايات المتواترة والقطعية عند الشيعة والسنة - في ذيل هذه الآية الشريفة، حيث قد نقله خمسة وثلاثون من صحابة النبي ﷺ. ويقول الباقر عليه السلام بكل وضوح أيضاً: «**آل محمد هم حبلُ الله الذي أمر بالإعتصام به فقال: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾**».(189)

وقد أمر القرآن الكريم كذلك بالتوسل للوصول إلى محضر الله تعالى بقوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة**﴾.(190)

وفُسرت الوسيلة في حديث قدسي بالنبي وأهل البيت عليهم السلام.[191] وتقول الزهراء سلام الله عليها في خطبة لها: «**نحن وسيلته في خلقه**».[192]

ومما مضى، يتحصل أن توسّل غير المعصوم بالمعصوم أمر ضروري قطعاً، بل حتى أنّ المعصوم أيضاً يتوسل أحياناً بالمعصوم الآخر، كما حصل مع سيد الشهداء عليه السلام عند ترك المدينة إلى مكة وكربلاء، حيث توجه إلى القبر الشريف للنبي صلى الله عليه وآله، وتوسّل بتلك الحضرة،[193] وناجى الله قائلاً: «**إني اسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق هذا القبر ومن فيه إلاّ اخترت لي من أمري ما هو لك رضى**».[194]

الإمام والتوسل بأهل البيت(ع)

كان الإمام الخميني قدس سره عاشقاً ومحباً لأهل البيت(ع) ولدين الله بكل وجوده، وكان بسعة نظرته العميقة يراهم في منزلة رفيعة جداً، وكان يعتقد أن: «..**لأهل بيت العصمة والطهارة - عليهم الصلاة والسلام - مقامات روحانية شامخة في السير المعنوي إلى الله، والتي يعدُ إدراكها حتى من الناحية العلمية أيضاً، خارجاً عن طاقة البشر، وفوق عقول أرباب العقول وشهود أصحاب العرفان، كما يظهر من الأحاديث الشريفة، حيث أنَ لهم شراكة مع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في مقام روحانيته، وأن أنوارهم**

المطهرة كانت تشتغل بتسبيح الذات المقدسة وتحميدها قبل خلق العالم».[195]

ويقول بشأن شخصية أمير المؤمنين الشامخة صلوات الله عليه: «**لم يكن الأمير سلام الله عليه من الجهة المعنوية شخصاً مفرداً، بل كان كل العالم».**[196]

ويمجد الزهراء سلام الله عليها قائلاً: «**إن فاطمة (ع) إنسان بكل ما لكلمة إنسان من معنى**» حيث «**لو كانت رجلاً لكانت مكان رسول لله ﷺ** ».[197]

ويَعتبرُ إمام الزمان عليه السلام عصارة الخلقة.[198]

وعليه، فمن الطبيعي مع مثل هذه النظرة التي يحملها الإمام الخميني (س)، أن يكون ولهاً بحبِّ أولئك العظام المعصومين، وأن يضحي في طريق مذهبهم ويدعوَ الدنيا بأسرها للسير نحوهم، وأن يتوسل بهم كل صبح ومسيّة، ويبكي لمصائبهم بشدة ويفرح لفرحهم، حيث نشير فيما يلي إلى ثلاثة جوانب: الزيارة، والتعظيم، والعشق لأهل البيت (ع):

1. الزيارة

لزيارة التربة المطهرة للأئمة المعصومين، والشهداء والصالحين، منزلة خاصة في الثقافة الثورية للشيعة، وقد كانت تلك المنزلة الرفيعة على الدوام مصدر إلهام لرجال الله وأصحاب الفِطر الطاهرة.

ولقد سكنَ الإمام الخميني رضوان الله عليه، حوالي اثنتي عشرة سنة في جوار مرقد مولى الموحدين علي عليه السلام، منفياً: «**من اليوم الأول الذي وصل فيه الإمام الخميني إلى النجف، وإلى اليوم الذي غادره فيه، كان يأتي كل ليلةٍ بعد حوالي ثلاث ساعات من غروب الشمس - في الصيف والشتاء - لزيارة حرم علي عليه السلام، ولم يكن ليترك هذا البرنامج أبداً. حتى في السنة التي وقع فيها الإنقلاب في العراق وأُعلنت الحكومة العسكرية، في نفس تلك الليلة لم يترك الزيارة ايضاً. كان الشهيد مصطفى يقول: في تلك الليلة التفتنا إلى أنّ الإمام ليس داخل الغرفة، فجلنا في أماكن مختلفة من البيت لكننا لم نجده إلى أن صعدنا إلى السطح، فلاحظنا أنّ الإمام كان قد وقف متوجهاً إلى الحرم يقرأ الزيارة**».(199)

«**كان تشرُّفُ الإمام الخميني لزيارة حرم أمير المؤمنين عليه السلام يحصلُ وفق آداب خاصة جديرة بالالتفات إليها؛ كان الإمام يقرأ إذن الدخول بكمال الأدب والوقار، ويدخل الحرم من الجهة السفلى للضريح، وكان متقيداً أن لا يمرَّ من جانب الرأس المطهّر للأمير عليه السلام. وعندما كان يصل إلى مقابل الضريح المطهر، كان يقرأ بكل اخلاصٍ زيارة «أمين الله» أو زيارة اخرى، ويرجع مجدداً من الجهة السفلى ويجلس في زاوية يقرأ الزيارة والدعاء، ثم يصلي ركعتين وحينئذٍ يترك الحرم وفق أدب خاص**».(200)

وقد نُقل أيضاً: «**كان سماحة الإمام في أغلب أيام الزيارة إلى**

جوار قبر الإمام الحسين عليه السلام، وخلال عشرة المحرم، كان يقرأ كل يوم زيارة عاشوراء، مع تكرار كل من السلام واللعن الواردين في نهايتها، مئة مرة».(201)

وكذلك: «**طوال الفترة التي تواجد فيها سماحة الإمام في قم، كان يتوجه كل يوم بعد درس الصباح، وأحياناً بعد درس العصر، إلى الحرم المطهّر لحضرة المعصومة سلام الله عليها. ولم يكن يترك المشاركة في صلاة الجماعة التي كانت تقام في الحرم، ويقرأ عادة الزيارة الجامعة هناك».**(202)

2. التعظيم

يستوجب المقام الشامخ، والشخصية المنقطعة النظير، ومنزلة الولاية الإلهية للمعصوم أن يكون مورد تقديس دائم وتكريم واحترام فوق العادة. وأن يؤتى على ذكر اسمه بعزة واحترام، وأن يقدَّر حديثُهُ عالياً، وأن تُتّبَع أفكاره وعقائده، وأن يُكرم في يوم ولادته وارتحاله..

كان للإمام الخميني اهتمام وافر بتعظيم شخصية المعصومين عليهم السلام، وأفنى عمره في الترويج لعقائدهم وأفكارهم، ولم يأت على ذكر أسمائهم مطلقاً دون احترام ودون التسليم عليهم، وكان يقيم قدر ما استطاع مجالس أفراحهم وعزائهم ويذرف الدمعَ هو نفسُهُ ايضاً، في كل فرصة مناسبة وبكل اخلاص، على أولئك الطاهرين العظام.

«طوال المدة التي كان الإمام خلالها في النجف الأشرف، كان يقيم مجالس العزاء في منزله في جميع ليالي شهادة المعصومين عليهم السلام. وفي ذكرى رحيل السيدة الزهراء سلام الله عليها كان يستمر في إقامة المجلس لثلاثة ليالي، وكان بكاؤه مشهوداً في جميع هذه المجالس دون استثناء».(203)

«طُلب في أحد الأيام، والذي كان يوم ذكرى شهادة السيدة فاطمة عليها السلام، من الإمام أن يشارك في اجتماع للأخوة في المكتب (مكتب الإمام في جماران) حيث كانوا قد أقاموا مجلسا بهذه المناسبة، فجاء الإمام وجلس. وبمجرد أن شرع أحد الأخوة بقراءة مجلس المصيبة، بدأ الإمام بالبكاء بصوت عال.. وكانت قطرات الدمع تنهمر على خديه كمثل حبّات اللؤلؤ».(204)

كان تكريم شخصيات المعصومين وإظهار مظلومية أهل البيت عليهم السلام مورد اهتمامِ الإمام الراحل، حيث لم تكن تمنعه عن مثل هذا العمل أية حادثة أو بليّة تصيبه. فنراه يأمر في يوم عاشوراء أن يقام مجلس عزاء في باريس، بحضور جمعٍ من المراسلين، قبل ساعة من وقت الظهر. وأن يقرأ أحد الأخوة المجلس.(205)

3. عشق أهل البيت (ع)

يمكن لما أوردناه في القسمين الماضيين أن يكون باعث عشق الإمام ومحبته لأهل بيت العصمة والطهارة. تماماً مثلما يمكن أن

تصير المحبة هي الباعث عليهما (الزيارة والتعظيم)، ولهذا: «**إن محبة حضرة الإمام لأهل بيت رسول الله ﷺ ليست قابلة للوصف. فالإمام عاشق لهم. عاشقٌ إلى الحد الذي طالما يُرفع فيه نداء "يا حسين"، فإنه يظلُّ يذرف الدمع بلا اختيار منه؛ ومع هذا، يصبر أمام مصائبهم. ومع أن الإمام لم يذرف الدمع أمام مصيبة مثل شهادة السيد مصطفى، إلاّ أنه وبمجرد أن يقول مقرىء العزاء: "السلام عليك يا ابا عبدالله"، تنهمر قطرات الدمع من عينيه**».[206]

ولقد أخذ عشق الإمام ومحبته لأهل البيت عليهم السلام كل وجوده، إلى الحد الذي كان يُرى دوماً بالقرب منهم: «**كان تصرف الإمام عند زيارته للمشاهد المشرفة وأضرحة الأئمة المعصومين عليهم السلام وكأنه كان يرى الإمام المعصوم عليه السلام ناظراً إليه وحاضراً أمام عينيه**».[207]

مثل هكذا روحية أدت إلى أن يستمد القائد الكبير للثورة الإسلامية العون من الوجود الشريف للمعصومين عليهم السلام في نشاطاته الصغيرة والكبيرة. وإن الموفقية العالية للإمام طوال حياته المباركة لدليل على هذا الأمر، حيث منح أولئك العظامُ المعصومون أيضاً عناية خاصة إلى التلميذ الفذّ لمذهبهم. وبلا شك، فقد كان عون الأئمة الأطهار عليهم السلام، بعد الألطاف الإلهية، الداعمَ المعنوي للإمام، خصوصاً خلال سير المواجهات والثورة؛ يقول حجة الإسلام علم الهدى بهذا الشأن: «**خلال**

أحداث قضية "مجالس الايالات والولايات"، كتب الإمام رسائل إلى علماء المدن، وأمرني أن اذهب إلى محافظات خراسان وسيستان وبلوشستان لأوصل رسائله ونداءه إلى العلماء. عندما وصلت لتوديع الإمام، وبعد تسليمي الرسائل، قال: قبل أن تقابلوا أي شخص، تشرفوا أولاً بزيارة الحرم المطهر لثامن الحجج علي بن موسى الرضا عليه السلام، وقل له عليه السلام نقلاً عن لساني: قد استجد أيها السيد أمر عظيم جداً ومسألة خطيرة، ونحن اعتبرنا تكليفنا أن نثور وأن نتحرك، فإن كان ذلك مما يرضيك، فأيدنا».[208]

9

التـــواضع

«التواضع هو ذلك الإنكسار النفسي الذي يمنع إعتبار النفس أفضل من الآخر».[209]

عُدَّ التواضع في القرآن الكريم من أوصاف قوم يحبون الله تعالى، وهو أيضاً يُحبهم. فقد جاء في سورة المائدة، الآية 45 قوله تعالى: ﴿.. **أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين**﴾.

والله سبحانه، الذي جعل التواضع رديفاً لأوائل أوامره التي أنزلها على النبي الأكرم ﷺ، يقول: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾.[210]

تعتبر الآيات المذكورة أعلاه، التواضعَ تكليفاً مُهماً لمحبي الله الحقيقيين، خصوصاً إذا كانوا قادة الآخرين وعظماءهم. أحد هؤلاء الناس البارزين هو الإمام الخميني. فعلى الرغم من أنه كان قائداً كبيراً، فقد جعل من حياته حياة متواضعة.

ولقد استضاء المعارفُ والأصحاب بنور الشموع الهادية لهذه القدوة والأسوة، وجمعوا في صدورهم خواطر عديدة، نشير إليها فيما يلي في خمسة محاور، وذلك لأجل الإطلاع على تجليات من تواضع تلك الشخصية العظيمة.

1. التواضع بين يدي الله

لم تكن مناجاته وعباداته العامرة بحس الخضوع، في قلب الليالي، العلامة الوحيدة على تواضعه. بل ظهر ذلك التواضع في

المجتمع ايضاً. ففي أي مكان كان يشعر فيه أنّ عملاً ما هو مورد رضا الله، كان يرتدي لباس التواضع: لم يكن ليرتضي إدارة الحوزة - في حين أن الآخرين فعلوا ذلك - لكن عندما احتاجت إحدى القرى لمسجدٍ وتوقف تقديم المساعدة من قِبل المالكين على مساهمة الإمام في حفر الأرض (إيذاناً ببدء الإعمار) جاؤوا يتشاورون مع السيد إشراقي، صهر الإمام، فقال لهم: «**إن التكليف الإلهي هو الأمر الذي يذعنُ الإمام أمامه. فإن عُرضت عليه مسألة وأحس أنها تكليفه وأن عليه أن يأتي، فإنه حتماً يأتي**».(211)

وبالفعل، فقد ذهب الإمام إلى ذلك المكان عند سماعه بالأمر، وساهم بالحفر.

2. التواضع للناس

في ظل العناوين البراقة، وتقرب هذا أو ذاك، وإطلاق الشعارات المؤيدة وإظهار المودة، يحصل الخوف من أن يضل الإنسان ويغرق في مستنقع الأهواء النفسانية، ويرى لنفسه امتيازاً أرفع من الآخرين: لكن ليس لهذه الخصلة القبيحة من دورٍ في صحيفة حياة روح الله (س).

وتتوضح جيداً هذه النقطة المشار إليها، بهذا العرض الإجمالي لكيفية حديث الإمام وسلوكه مع الطبقات المختلفة:

أ. السبق في السلام

يقول أحد تلامذة الإمام: «**في أحد الأيام.. بينما كنت أمرُّ مطأطئاً رأسي، أحسستُ فجأة أنّ شخصاً يسلم عليّ. عندما رفعت رأسي، وقعت عيني على الملامح المباركة للإمام فأحسست للحظة ثقلاً وضغطاً عجيبين في نفسي. أظنُّ أن لساني كان قد انعقد، فهو في النهاية الإمام، مرجع التقليد، المحبوب.. والمراد.. وأنا لا شيء. مجرد طالب علم في السنة السابعة عشرة!**».(212)

ب. قَبول اللقاءات

ليس فقط لم يكن الإمام يعترض على عدد لقاءات الناس الكثيرة به من قبل الناس، بل كان يتحمل صعوبة الوضع ومجريات ذلك، ولم يُظهر الإنزعاج. وكما نُقل: «**كنا نجلس في كثير من الأيام في غرفة صغيرة وقديمة، مع ما يزيد على مئةٍ وخمسين شخصاً، في طقس حار، وعلى نور ضوء التلفزيون، حيث كانت رائحة عرق الناس وأنفَاسهم في ذلك المكان مثل مدفأةٍ قد أُحميت..**».(213)

«**وفي نفس تلك الساعة التي كنا فيها متعبين على أثر اللقاءات، عندما يسمع (الإمام) أن رجلاً عجوزاً قد جاء من طريق بعيد يطلبُ أثر محبوبه، يقول: «قولوا له ليأتي» ويسألُ ذلك الرجل العجوز الذي أُدخل عليه عن أحواله بحرارة**».(214)

ج. مساواة نفسه مع الآخرين

لم يكن الإمام يعتبر نفسه مميزاً عن الآخرين، وكان يسعى دائماً أن يجلس مثل الآخرين على الأرض. وإن يكونوا في ضيقٍ من المكان عند جلوسهم، يكون هو شريكاً لهم أيضاً.

«**عندما كان الإمام يدخل إلى المجلس، كان يجلس في أي مكان خالٍ، وغالباً بجوار المدخل، وبين أهل الحي والسوق**».[215]

في إحدى الليالي الماطرة في باريس، وبسبب مجيء الناس وذهابهم، تلوثت أرض مدخل بيت الإمام بالطين والبلل قليلاً. عندما همّ الإمام بالدخول إلى المنزل، طلبوا منه أن يدخل بحذائه لكنه تبسّم وقال: «**كل عمل يتحتم على الجميع أن يفعلوه، فإنني أقومُ بنفس ذلك العمل**». وخلع حذاءه خارجاً.[216]

د. لقاء شيخ جماران مع الأطفال

إن الإمام الذي كان مصداقاً بارزاً لقوله تعالى: ﴿**أشداء على الكفار**﴾، والذي قال بلهجة نارية «**لن ترتكب أمريكا أية حماقة**»، كان متواضعاً أمام الأطفال، ويعتبرُ نفسه خادماً لهم، فيقول: «**أنا خادمكم أيها الأطفال وأنتم أبنائي، وأنا متعلق بكم ومخلص لكم ومحب...**».[217]

بنفس تلك اليد التي قد حملت القلم وأصدرت حكمَ إعدام سلمان رشدي وأمثاله، يكتب في جواب رسالة للأطفال: «**أبنائي الأعزاء! لقد قرأت رسالتكم المفعمة بالمحبة، فيا ليتكم يا أعزائي كنتم وجهتم إليَّ النصيحة، فأنا محتاجٌ لها**».[218]

لقد جلس على السرير أمام وزير خارجية الإتحاد السوفياتي، ومدَّ رجليه يستمع إلى رسالة جواب غورباتشوف، لكن عندما يأتي إليه ابن شهيد، كان يحتضنه ويلاطفه. ويصفُ أحدُ أبناء الشهداء رونقَ اللقاء مع والده الرحيم ذاك (الإمام) قائلاً: «**ذهبت عند السيد وجلستُ في حجره، ثم قرأتُ له الشعر**: (ما ترجمته)

الرمان حبةٌ حبةْ الخميني نبع المحبّةْ

نريد أن نذهب إليه كي ننثر الورد عليه

فقبّلني الإمام وقال: «أنا أحبُّ جميع الأطفال». فقلتُ أنا ايضاً للسيد: «أنا ايضاً أحبكم».[219]

3. في المحيط العائلي

إن عظمة شخصية الإمام وكثرة انشغالاته وحتى كهولة سنه، لم تكن باعثة على أن يلقي كَلَّه على من هم حوله، ويكثر من الطلبات وإصدار الأوامر لأفراد أسرته.

فقد كان يساعد أهل بيته في الأعمال. تنقل فاطمة الطباطبائي عن زوجة الإمام قولها: «**لأن الأطفال كانوا يبكون كثيراً خلال الليل، ويبقون مستيقظين حتى الصباح، كان الإمام يقسم الليل، فيرعى مثلاً الأولاد لمدة ساعتين بنفسه، بينما كانت السيدة تنام، ومن ثمَ لمدة ساعتين بالعكس**».[220]

كان الإمام يأبى أن يحمّل الآخرين أعباء أموره الشخصية، بل حتى لم يكن يعتبر أن مثل هذا الأمر يليق بأفراد أسرته وللمثال:

«كان الإمام ينتبه أحياناً أن مصباح المطبخ أو الحمام قد بقي مضاءً، فكان يقوم بنفسه وينزل ثلاث طبقات في الظلمة ويطفىء المصباح. وعندما كان يريد قلماً أو ورقة، لم يكن يطلبُ من أحدٍ حتى من المرحوم الحاج الشهيد السيد مصطفى أن يجلبها له، بل كان يقوم بنفسه لينجز هذا العمل».(221)

في المنزل، كان يشارك الأطفال في لعبهم، وحينما كان علي حفيد الإمام يأتي إليه أحياناً ويقول: «**كن أنت الطفل وأنا اكون السيد**»، **كان الإمام يجيب: «حسناً سأفعل».**(222)

تقول والدة علي: «**كان علي يقول للسيد أحيانا: إجلس حتى أغسل رأسك. حينذاك كان الإمام يجلس، وعلي يتظاهر بغسل رأسه ووجهه ويمد يده إلى الحائط الذي يمثل عنده الصابون، ومن ثمَ يفرك به رأس السيد ووجهه. كنتُ أقول لعلي أنك بعملك هذا تزعج السيد، وكان السيد يقول: كلا! هو لا يزعج. دعيه يقوم بعمله**».(223)

4. في خندق العلم والمعرفة

نشير فيما يلي إلى ثلاثة محاور، حول تواضع الإمام في خندق العلم والمعرفة:

أ . الإبتعاد عن إظهار الأنا

من العوامل التي ألبست الإمام الكبير لباس العزة والعظمة هو تواضعه فمع أنه كان يعدُّ من أعمدة الحوزة العلمية، لم يكن أبداً

يسعى في أثر الإسم والشهرة والمنصب والمقام. وهو بنفسه يقول حول هذا الموضوع: «**أقسمُ بالله أنني لم أسعَ خطوة واحدة لأجل الوصول إلى المرجعية، ولكن إن ألقت بحملها عندي، فلا أخافُ من تحملها**».(224)

ب . التواضع للعلماء الكبار والأساتذة

يقول آية الله جعفر السبحاني، أحد تلامذة الإمام: «**في زمن زعامة المرحوم آية الله البروجردي، كان حضرة الإمام يُقبِّلُ يده، وشكّل بهذا العمل قدوة ومثالاً يحتذى من الآخرين، ولم يكن يصدر منه أدنى قلة احترام للأستاذ ابداً**».(225)

ج . التواضع للطلاب

لأن الإمام كان يتحلى بروحية طالب العلم، لم يكن ليتعب من السؤال والجواب، وحتى من الإنتقادات. وبهذا العمل المتواضع كان يربي التلامذة. في أحد الأيام قدَّم أحد التلامذة له مباحث (ليطلع عليها). ومع أن الإمام كان مشغولاً جداً، إلاّ أنه قَبِلَها ممّا أثار تعجّب الطالب الذي قال: «**أخذَ الإمام المباحث وطالعها، وكتب إشكالاته في صفحتين، وبما أنني كنت قد أشكلت عليه فيها، شجعني وقال: ما أوردتموه من إشكالات يستحق التقدير**».(226)

وفي وقت البلاء أو المرض، كان يحتضنهم مثل والدٍ لهم في حجرِ رحمته، ويرأف بهم. يبين أحد طلابه مدى راحة فؤاده من رأفة الإمام به فيقول: «**أقسمُ بجدي الأطهر أن مقدار الرحمة**

التي أظهرها لي الإمام رضوان الله تعالى عليه خلال فترة المرض، ومراقبته لحالي، ما كان أبي ليقوم بمثلها لو كان في قم».[227]

5. الترغيبُ بالتواضع ممدوح والابتعاد عنه مذموم

كان حضرة الإمام يسعى لإشاعة هذه الخصلة الحسنة بين طلابه، وبين الأشخاص الذين تبوؤا مواقع المسؤولية.

ذهبَ أحد المسؤولين في الدولة برفقة والده للقاء حضرة الإمام، وعندما شاهد الإمامُ أنه قد دخل أمام والدِه، استاءَ وقال: «**أَليس هذا السيد هو أبوك؟! فلمَ إذن سرت أمامه ودخلتَ قبله؟!**».[228]

أما التواضع أمام الأغنياء فهو أحد المواضع التي يعتبر فيها التواضع أمراً مذموماً، حيث قد نهي عن ذلك بشدة في الروايات. لهذا السبب، كان الإمام العظيم يشمئز هو نفسه من مثل هذا التواضع، ويمنع الآخرين أيضاً عن فعله.

يقول آية الله الجوادي الآملي: «**في الدروس عموماً، وفي المواعظ التي تأتي في ختامها خصوصاً، كان يهاجم بشدة هذا الأسلوب (الأنس والإرتباط بالآخرين الذين هم وسيلة لتحصيل المعاش)، فهو لم يكن يفكر أبداً أن يتقرب من الأغنياء وجامعي الكنوز الدنيوية، أو أن يقبلهم بالقرب منه، وأن يهيء لنفسه معاشاً بهذا الأسلوب**».[229]

10

حســن الخُــلق

يؤكد الإسلام كثيراً على حسن الخُلق والمعاملة الودودة والأخوية، حيث يعتبر النبي الأكرم ﷺ حسنَ الخلق نصفَ الدين: «**الخُلُق الحسن نصف الدين**».(230)

ويصفُ الإمام جعفر الصادق عليه السلام حسن الخلق فيشير أنه لين الجانب وطيب الكلام وبشر الوجه مع المؤمنين: «**تلينُ جانبك، تطيِّبُ كلامك وتلقى أخاك ببِشرٍ حسن**».(231)

وبامتلاك مثل هذا الخلق الحسن يحوز الفرد خير الدنيا والآخرة، يقول النبي الأكرم ﷺ: «**حسن الخلْق ذهب بخير الدنيا والآخرة**».(232)

جذور حسن الخلق

بدون شك، هناك عوامل عديدة تؤثر في ظهور حسن الخلق وبقائه، ومن جملتها:

1. الإيمان الكامل

فالإيمان بالله ورسوله ودينه السماوي، هو منشأ جميع الأفعال الإنسانية الحسنة: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلْقاً**».(233)

2. التعقل

العلاقة الحسنة بالناس وتوثيق العلاقة العاطفية معهم هي من الأعمال المقبولة والمرضية لدى العقل السليم. ولهذا، فالعاقل لا يعاشر الناس إلاّ بالخلق الحسن. يقول إمام العقلاء علي عليه السلام: «**الخُلُق المحمود من ثمار العقل**».[234]

3. الفطرة الصافية

لطهارة العِرق وصفاء الطينة أيضاً سهمٌ في تحقق حسن الخلق لدى الإنسان، حيث يمنعانه عن كل أشكال العلاقات الفاسدة وسوء الخلق. يقول الإمام علي عليه السلام زيضاً: «**حُسن الخلق برهان كرم الأعراق**».[235]

القيادة وحسن الخَلق

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتحلى كقائدٍ للإسلام بأتم صورة لحسن الخُلق إلى الحدّ الذي رُسِمَ وساماً علَى صدره من قِبَل اللّه تعالى: ﴿**إنك لعلى خُلُق عظيم**﴾.[236]

وبالتأمل في هذه الآية الشريفة، والأخلاق الرفيعة للنبي وأوصيائه المعصومين - صلوات اللّه عليهم - ندرك أن حسنَ الخُلق من ضروريات أخلاق القيادة في الإسلام، وكلُّ شخصٍ يكون أكثر تحلياً بذلك، فهو إلى النبي أقرب، حيث قد قال صلى الله عليه وآله: «**أشبهكم بي أحسنكم أخلاقاً**».[237]

إن تزيين سلطة القيادة والحكومة بحسن الخُلق يعدُّ عملاًحكيماً، حيث يصون كيان القيادة كمثل حصن فولاذي. وكما قال علي عليه السلام: «**حسنُ الخُلق جمالُ القدرة وحِصنُ الإمرة**».[238]

إن مقام الولاية المعظم يقتضي أن يسوس «القائد» - الذي يجلسُ على رأس هرم الأمة - الناسَ بوجه باشٍّ فرح وسيرة حسنة. مثل هكذا حالة تؤدي إلى أن يحتفظ رعايا البلد الإسلامي بهذا الواقع الجميل في أذهانهم دوماً، ويتعلقوا بالقائد عاطفياً وقلبياً. يقول أمير المؤمنين عليه السلام بشأن هذا الموضوع: «**من حسُن خلْقه كثُر محبوه وأنست النفوس به**».[239]

كذلك، فإن من البركات العميمة لحسن الخُلُق سهولة الأعمال وتقدمها في كثير من المجالات. ومثلما قال الإمام علي عليه السلام: «**من حسُن خلْقه سهلت له طُرُقه**».[240]

الإمام الخميني، مرآة حسن الخُلق

نظراً للمعرفة التامة بالمنزلة الرفيعة لحسن الخُلُق وضرورة الإستفادة منه في كل مقام وموقعية من جهة، ولحيازته الإيمان الكامل، وطهارة المولد، وصفاء الفطرة وحياة العقل من جهة أخرى، كان للإمام الراحل ـ قدس سره ـ نصيب وافرٌ وملموس من الأخلاق الحسنة والكريمة، ومن جمال المنطق. ولهذا السبب، لم تظهر منه أقل نقطة ضعف في مقام المرجعية والقيادة. وقد أثنى عليه الصديق والعدو، والقريب والغريب، لما رأوا منه من المكارم

الإنسانية وحسن الخلق، طأطَأوا رؤوسهم مذعنين.

إن عظمة خلق ذاك العزيز الفقيد وسعته ـ قبل أي شيء آخر ـ تخرج عن عهدة قلم هذا المقتَطف. وبمنتهى العجز نورد أدناه جانباً من تلك العظمة في ما يرتبط بالعلاقة مع العائلة، مع الأصدقاء والأصحاب، بل وحتى مع الخصوم.

1 . مع العائلة

بعيداً عن كل أشكال التصنع والإدعاء، يُفصِح الإنسان عادة في محيط الأسرة عما في داخله، ولذا تظهرُ رفعة أخلاق كل شخص او تدنيها، في المنزل قبل أي مكان آخر. فالزوجة والأبناء والمساعدون الذين عاشروا الإمام لسنوات طويلة، قد شهدوا جميعاً على حسن سلوك الإمام الراحل ومنهجه. تقول زوجة الإمام بهذا الشأن: «**كان الإمام يظهر احتراماً كبيراً لي ويمنحني اهتماماً زائداً، فلم يكن ليقلل من الاحترام لي أو ليسيء الأدب معي أبداً حتى في قمة الغضب. كان دائماً يجود عليّ بلطفه وتقديره، وطالما أنني لم آتي على المائدة، لم يكن ليبدأ تناول الطعام وكان يقول للأولاد ايضاً: اصبروا حتى تأتي السيدة!**».(241)

كذلك، يقول الإبن الراحل للإمام (السيد أحمد) أيضاً: «**إن معاملة الإمام مع أسرته بعد الثورة لم تختلف أبداً بل صارت أشدَّ رأفة.. يلعبُ مع الأطفال الصغار في المنزل،.. فالإمام هو رفيق لنا**».(242)

وحتى الأبناءُ صغارُ السن داخل بيت الإمام كانوا ينعمون أيضاً بأخلاق الإمام الحسنة ومعاملته الحميمة والأبوية، ويدركون بقلوبهم الصغيرة السلوك الإسلامي لذلك الرجل الإلهي الشجاع. وبكلام حجة الإسلام أنصاري: «**يعتبرُ الإمام المنزلَ مركزاً للإعداد ولبناء شخصية الأبناء. أحياناً كان أحفاد الإمام يأتون إلى قربه، فيصرخون ويصيحون ويركضون في هذا الاتجاه وذاك، لكن ردة فعل الإمام كانت تبقى حميمة ورحيمة**».[243]

لقد وصل حسنُ خُلقِ الإمام ودقته في المعاملة إلى الحد الذي لم يكن حاضراً ليثير حتى أدنى إنزعاج لأهل بيته. يقول الدكتور البروجردي بهذا الشأن: «**في جوف الليل، حينما يستيقظ لصلاة الليل، يستفيد من مصباح ضوئي يدوي صغير، دون أن يضيء المصباح الكهربائي، ويمشي بهدوء حتى لا يوقظ الآخرين فهو إلى هذا الحد كان يراعي المسائل الإسلامية**».[244]

2. مع الأصدقاء والأصحاب

لم يكن القائد العظيم الشأن وفقيد الثورة الخيّر، مجرّد معلمٍ ومربٍّ نموذجيٍّ للمجتمع والتلامذة والأصحاب في الأبعاد السياسية والعلمية، وفي مقام القيادة فحسب، بل كان سباقاً وقدوة في المجال العملي، خصوصاً في العمل بالأحكام الشرعية والأخلاق الإسلامية. وبكثرة الخُلق الحسن والصفات الإنسانية الممدوحة الأخرى قد جعل الجميع مجذوبين نحوه: «**كان الإمام**

دائماً يسبقُ الآخرين في السلام ويبادر به قبل الجميع. فهذه الشخصية الكبيرة ومع كل تلك العظمة - حيث كانت تستوحش من ذكرِ اسمه جميع القوى الكبرى - كانت إلى هذا الحد رؤوفة ورحيمة، فقد كان يسلم حتى على الأطفال ايضاً».(245)

ويثني آية الله بهاء الديني(ره) على حسن خلق الإمام العزيز قائلاً: **«إن الشيء الذي لن يزول أبداً من خاطرِ أيٍ من تلامذة سماحة الإمام رضوان الله تعالى عليه، بل حتى من خاطر كل من عرفوه، هو تواضعه الشديد وروحيته الباعثة على تهذيب نفوس التلامذة.. لقد كنت مجذوباً نحوه.. وطوال المدة التي تشرفت فيها بخدمته، ولأنه كان يسعى دائماً للسبق في إلقاء السلام، لم أستطع ولو لمرة واحدة أن أبادر بالسلام عليه.. وفي أيام الدراسة في قم ابتليت بمرض شديد، وأقسمُ بجدي الأطهر أن مقدار الرحمة التي أظهرها لي الإمام خلال فترة المرض، ومراقبته لحالي، ما كان أبي ليقوم بمثلها لو كان في قم».**(246)

3. مع الخصوم

صاحب الخلق الحسن لا يميّز بين صديقٍ وعدو، بل يتعامل مع الجميع وفق خلقه، لأن فساد الآخرين وقبح أعمالهم لا يجب أن يصير سبباً في فساد الصالحين وقبح أخلاقهم.

لقد استخدم معارضوا الإمام والثورة إلى أية فئة انتموا، أخسَّ أنواع الدعايات المغرضة في معارضته، ولم يتورعوا عن الكذب في إلقاء أية تهمة أو افتراء أو سوء أدب: لكن الإمام قابلهم دائماً

بالأخلاق الإسلامية، والرصانة وحسن الخُلق، ولم يتناه إلى سمع أي شخص أن الإمام وجّه أدنى إهانة إلى من هم ضد الثورة، بل كان دائماً يكشف الستار عن دسائسهم ومكائدهم، مع رعايته للأدب والعفة في الكلام، ويواجه حربهم النفسية والإعلامية.

يقول حجة الإسلام رحيميان: «**كان الإمام قد طوى الطريق نحو الله بالسير على صراط العبادة المستقيم، بعبودية الحق تعالى وتخليه عن إنيته. بناءً على هذا كان الإمام يُبغضُ ويعادي في الله، لا على أساس هوى النفس. فمعاداته لأشخاصٍ مثل الشاه وريغان وصدام لم تكن عداوة شخصية، بل فقط لأجل طغيانهم وعصيانهم لأوامر الحق. وفي الأساس كان الإمام يغض النظر دائماً عندما كان الأمر ينال منه شخصياً؛ وما أكثر المواضع التي كان الأفراد المغرضون والجاهلون يتعرضون فيها للإمام بأسوء أنواع الأذى والتوهين المعنوي.. لكن الإمام سواء قبل الثورة حيث كان المرجع الأعلى في الحوزات العلمية أو بعد الثورة حينما وصل إلى أرفع درجات العظمة والقدرة لم يخطر بباله ولو لمرة واحدة أن ينتقم ويحاسب، بل على العكس من ذلك. كان يهتم بهذا النوع من الأفراد ويساعدهم. وإن مرضوا، كان يرسل ممثلا من قبله لعيادتهم ويخفف عنهم ابتلاءاتهم الشخصية قدر الاستطاعة**».(247)

11

العزة والكرامــة

العزة هي الحال التي يمتنع معها هزيمة الإنسان. وفي اللغة «الأرض العِزَازْ» مشتقة من نفس المعنى، إذ هي الأرض الصلبة والقاسية التي لا يقع فيها معول. استخدمت «العزة» في الآيات القرآنية بمعنى الصلابة، النصر المؤزّر، عدم التسلط، الشدة، الحميّة، المروءة.[248] ومنبع العزة هو القرب من الله، والعزيز حقاً هو الله، ومن كان يريد العزة فيجب أن يطلبها منه سبحانه: ﴿**من كان يريدُ العزة فللّه العزة جميعاً..**﴾.[249]

وقد نال رسول الله ﷺ، والمؤمنون الحقيقيون عزّتهم عن طريق الإيمان بالله: ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾.[250]

ولهذا الأمر بعينه، تُعتبر العزة وكرامة النفس من الأصول الأخلاقية الإسلامية حيث لا يجبُ أن تُمسَّ تحت أي مبرر مطلقاً. فعن أبي بصير عن الصادق عليه السلام يقول: «**إن الله تبارك وتعالى فوَض إلى المؤمن كل شيء إلاَ إذلال نفسه**».[251]

وقد كانت سيرة أهل بيت الوحي (عليهم السلام) على وفق هذا المنوال، حيثُ لم يذلوا أبداً ولم يهنوا في أي ظرف، حتى ولو كان الثمن هو تقديم أرواحهم، كما كان حال سيد الشهداء الذي قدَّم نفسه للقتل، دون أن ينزل على حكم يزيد، وكانت عقيدته: «**موت في عزَ خير من حياة في ذُل**».[252]

ويجب أن نعترف أن شوكة الدين وعلو الإسلام قد كانا مرهونين

دوماً بعزة وصلابة أصحاب العزة من المعصومين والمؤمنين، والإمام الخميني قدس سره هو من عداد أولئك. فبمعرفته الكاملة بهذا الأصل الإسلامي، كان ذلك الإنسان العزيز والمرفوع الرأس يبعدُ نفسه عن كل ما تُشتمُّ منه رائحة المذلة. وحفظَ العزةَ وكرامة النفس في أعلى مستوى، كما قاد الأمة الإسلامية إلى قمة المجد، وأحيا مجد الإسلام وعظمته.

لقد كان ذلك الحكيم، وللبصيرة الخاصة التي كان يملكها في كل مسائل الإسلام لا سيما الأخلاقية والعرفانية،على اطلاع جيد بكل أسباب ودوافع حصول العزة. وباكتسابها وتقويتها، صار عزيز كلِّ الدهور، بل وأهدى العزة للآخرين أيضاً. وفيما يلي، نورد بعضاً من طرق اكتساب العزة وصورها في حياة ذلك الإمام الراحل.

طرق اكتساب العزة

1. إطاعة الله

قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «**إذا طلبتَ العزَ فاطلبه بالطاعة**».[253]

لقد طوى الإمام الراحل هذه الطريق على نحو جيد، حيث كان كل همه وغمّه أن لا يطيع أحداً إلاّ الله، وأن لا يقدِّم أي عملٍ على أمره سبحانه. يقول ابن الإمام: «**في اليوم الذي فرَّ فيه الشاه،**

اجتمع في جوار بيت الإمام في نوفل لوشاتو حوالي ثلاثمائة إلى أربعمائة مراسل صحفي، حتى يجروا مقابلة معه. كانت جميع الكاميرات تعمل وتقرر أن يطرح مراسل من بين كل عدة مراسلين سؤاله، فيجيب الإمام عنه. ولم يكد يُطرح سؤالان أو ثلاثة حتى سمْع صوت آذان الظهر، فغادر الإمام ذلك المكان فوراً، وقال: يذهب وقتْ فضيلة الصلاة! فتعجب الجميع، حتى أن شخصاً طلب من الإمام أن يجيب على عدة أسئلة أخرى، لكنه لم يقبل وقال بعصبية: "لا يمكن ذلك بأي حال"، ثم ذهب».[254]

2. التقوى

قال الرسول الأكرم ﷺ: «**من أراد أن يكون أعز الناس فليتق الله**».[255]

يمكن القول بكل جرأة: لقد كان الإمام الخميني أكثر أهل زمانه تقىً، ولم ينل أحد قصب السبق في ميدان التقوى - إذا استثنينا مولاه إمام الزمان(عج) - سواه. فقد كان باني الجمهورية الإسلامية سبّاقاً في هذا الطريق، شهدَ بذلك كل الأشخاص الذين رافقوه. يقول آية الله العظمى الآراكي: «**طوال السنوات الخمسين التي عرفنا فيها هذا الشخص العظيم (الإمام)، لم نجد عنده أو نرى سوى التقوى والتدين والكرم والشجاعة والشهامة وسمو النفس والقلب...**».[256]

3. اليأس من غير الله

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**كانت إحدى وصايا لقمان لابنه: «إن أردت أن تجمع عزَّ الدنيا فاقطع طمعك مما في أيدي الناس»**.[257]

سما إمام الأمة بقطعه الأمل من غير الله إلى أوج العزة: ولم يكن يتكل على أي مقام من مقامات السلطة في الداخل والخارج. وعلّق أمله بالله فقط. فأغناه ذلك العزيز المقتدر بدوره عن كل شخص.

كان الإمام تربية «**المناجاة الشعبانية**»، حيث قد ورد فيها: «**إلهي هب لي كمال الإنقطاع إليك..**».[258]

وكان يقول في توضيح ذلك: «.. **الجميع ليسوا سوى ظلال وتجليات. وهو فقط الثابت الحق. الجميع يطلبونه وكل الفطر تطلبه.. وأولئك الذين يدركون هذا الأمر. يتحررون ويقتفون أثر هذه الحقيقة: وهذا هو كمال الإنقطاع الذي أرادوه. فكمال الإنقطاع هو ترك كل ما سوى الله..**».[259]

بلى. لقد كان بحق بعيداً ومنقطعاً عن كل ما سوى الله. وكل ما كان (يطلبه) ويذكره. ويفكر فيه هو الله. وكل ما كان ينجزه فللّه فقط. ولهذا السبب. جعل الله إسم الخميني وذكره في كل مكان. وعلى لسان كل إنسان.

4. إقامة الحق

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «**ما ترك الحقَّ عزيزٌ إلاّ ذلّ ولا أخذَ به ذليلٌ إلاّ عزّ**».(260)

وببيان آخر: كل شخص يقيم الحق تزداد عزته وتزول ذلته، وكل شخص ينازع الحقَّ يذلّ، وإن كان عزيزاً، بل تزداد ذلته وإن كان ذليلاً. كان الإمام منصرفاً طوال عمره إلى إقامة الحق وإبطال الباطل. وقد ملأ عشقُ الحق عليه كل وجوده. ولهذا السبب لم يكن في قلبه ميلٌ سوى إلى الحق ولم تكن عيناه تريان سواه. ولم تكن قدماه تخطان الأرض سوى في طريقه. ولم تكن أذنه لتسمع سوى كلام الحق، ولم يكتب قلمه سوى الحق. ولم يكن لسانه لينطق سوى بالحق، حيث كان قد سخّر كل قواه لأجل إزالة الباطل وإحقاق حق الله تعالى، وانشغل بالإسلام والناس. وكان في حرب دائمة مع الباطل - أياً كان وكيفما كان - فأضحى ذلك من أسباب عزته ايضاً.

5. الفضائل الاخلاقية

يجب أن يُبحث عن السبب الخامس لعزة نفس الإمام في سجاياه الأخلاقية، بمعنى أنّ بعضاً من المحاسن الأخلاقية يبعث على العزة، وكل من يعزز وجودها في داخل نفسه يجد العزة، سواءً كان القائد أم الرعية، الرجل أو المرأة، الغنيّ أو الفقير.. وقد أشير أيضاً إلى هذا المطلب في الأحاديث النفيسة

للمعصومين عليهم السلام، حيثُ قد عُدَّت أوصاف مثل الشجاعة[261] والقناعة[262] والصبر[263] والإنصاف[264] والعفو[265] وكظم الغيظ[266] والبعد عن الشر[267].. أساس العزة. والإمام الخميني كان يحوز جميع هذه الأخلاق الحسنة، وكل واحدة منها قد رفعته، كمثل درجات السلّم، إلى أوج العزة. وفيما يلي نكتفي بنقل نموذج واحدٍ من ذلك: «**كان للإمام، رضوان الله عليه، احتياط وقناعة تامين فيما يتعلق بمصاريفه ومصاريف أسرته المعيشية، وفي المأكل والملبس. فإن كان مصباح ما مضاء لغير سبب، كان يأمر بإطفائه. وثيابه لم يكن عددها يتجاوز عدد أصابع اليد. وفي المأكل كذلك كان من أهل القناعة**».[268]

العزيز المعزّ

كان الإمام الخميني في جميع الخصائص والفضائل كمثل الشمس: منيراً ومليئاً بالحرارة في ذاته، ويمنح النور والدفء للآخرين. فهو إن كان شجاعاً في نفسه، فقد أعطى الشجاعة للأمة الإسلامية، وإن كان مهذباً فقد دعا الناس إلى تهذيب النفس.. ولأنه كان عزيزاً وعظيماً، فقد جعل الآخرين أعزاء كذلك.

كان الإمام يعتبر عزة الأمة الإسلامية ورفعتها عزة شخصية له. وينظر لا سمح الله إلى ذلتها وهوانها كهوان شخصي، حيث لم يكن يألو جهداً في سبيل رفع رأسها عالياً. فالإمام كان قد تذوق

طعم العزة الرائع، ولذا كان يرغب في أن يكون الشعبُ والطلبة وحتى المراجع الدينيون أكثر عزة وإباءً من ذي قبل. وقد وجّه في كلامه التاريخي في «بهشت زهرا» (جنة الزهراء) الخطاب إلى مختلف فئات الشعب، حيث قال: «.. **يجب أن أوجه نصيحة إلى الجيش.. نحن نريد لكم أن تكونوا مستقلين، ومنذ أشهر نحن نعاني، وقدمنا الدم، وأرقنا ماء الوجه، وذهب العلماء إلى السجن، وتعرضوا للإساءة، كل ذلك كي يكون جيشنا مستقلاً.. نحن يجب أن نكون مستقلين، والأمة تقول: يجب أن يكون الجيش مستقلاً، وأن لا يكون خاضعاً لأوامر المستشارين الأمريكيين والأجانب.. نحن لأجلكم نطلق هذا الكلام...**».[269]

يقول آية الله بهاء الديني: «**من خصوصيات الإمام أنه كان يجلس مع طلابه، ولم يكن لمسألة الأستاذ والتلميذ وجود في قاموسه. كان يجلس مع الطلاب، وتمرُ الجلسةُ أحياناً بإدارة أحد الطلبة أنفسهم. ما أريد قوله هو أن عظمة روح الإمام كانت شاملة إلى هذا الحد**».[270]

كان الإمام يقوم بمثل هذا العمل لأجل منح الطلاب الثقة بالنفس والإحساس بالعزة، كما أنه كان يمنعهم عن كل حركة تجعل عزتهم بأي شكل عرضة للسؤال. يقول حجة الإسلام عميد زنجاني حول هذا الموضوع: «**كان الإمام يحب أن يكون الطلبة عفافَ النفوس أعزاءً. أحياناً كان يصادف أن بعض الطلبة كانوا يأتون ويظهرون حاجتهم، إلاّ أن الإمام لم يكن يقابلهم بملاطفة، ولم يكن يرضى أن يُظهر طالبٌ حاجته.. كان لا يحب أن يُظهر**

الطلبة والعلماء حاجاتهم أمام أي شخص، بل يحب أن يحفظوا توكلهم وعزة نفوسهم».(271)

روح الإمام العزيزة والمانحة للعزة، لم تكن تُظهر حتى أدنى إساءة إلى المراجعِ، وكان يسعى بكل حكمة ودراية أن تبقى مكانة المرجعية العالية محفوظة كذلك: **«في زمان المرحوم آية الله الحكيم، كان عارف. رئيس العراق آنذاك. يريد أن يأتي إلى النجف، وأن يلتقي اثنين من المراجع الآخرين في حرم الإمام علي** عليه السلام**، بقصد تحقير آية الله الحكيم. وكان آية الله الخوئي قد قبل أن يلتقي مع عارف بشرط أن يقبل الإمام بهذا ايضا. فعرضتُ الأمر على الإمام، فابتسم وقال: «أنا لم ألتق ولن التقي مع هؤلاء. في إيران أيضاً حضر العقيد مولوي رئيس السافاك عندي وأصرَّ على أن أقابل الشاه فقط لخمس دقائق، فلم أقبل وزيادة على ذلك، السيد الحكيم هو رئيس الحوزة العلمية (فلماذا أقابل أنا عارف)، وثالثاً هذا العمل ليس فيه صلاح للسيد الخوئي أيضاً».**(272)

12

الإعتماد على النفس

الاعتماد على النفس أو استقلال الشخصية هو حالة نفسية راقية تنالها النفس المطمئنة. وببيان آخر: إن روح الإنسان المستقاة من «روح اللّه» تصل إلى مرحلة، جراء تهذيب النفس والتحرر، تصير معها خالصة وإلهية، وتتحرر النفس من كل ألوان التعلق بالماديات الباطنية والظاهرية، وتمتلىء بعطايا اللّه، وتقوى وتربى إلى الحد الذي لا تجد معه السكينة والإطمئنان سوى بذكر اللّه، لأنه: ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾.[273]

هذا القلب - والذي صار عرش ومظهر إسم اللّه ونوره - قد اعتمد على مكنوناته التي ليست إلاّ الفيض الإلهي، كمثل موسى عليه السلام يواجه فرعون، ويكسر بواسطة «اليد البيضاء» و «عصا» الطمأنينة كل سحر، وهو يرى نفسه دوماً في محضر اللّه وتحت نظره، والذي قال لموسى وهارون: ﴿**لا تخافا إني معكما أسمع وأرى**﴾.[274]

الأفراد الذين يستفيدون من الإعتماد على النفس واستقلال الشخصية، يستطيعون أن يحفظوا استقلال بلدهم أيضاً من الناحية السياسية والإقتصادية والثقافية والعسكرية... وأن يقووا روحية الإكتفاء الذاتي، واحترام الذات، وحفظ الشرافة القومية في نفوس شعوبهم.

وبالعكس، فإن الأفراد السفلة، طالبو الدنيا والمتعلقون بالأهواء

النفسانية، لا يستطيعون أبداً أن يقفوا على أقدامهم (لتحقيق مثل هذه الأهداف). وبعبارة أخرى، كل شخص يستطيع أن يتحكم بمملكة نفسه ويحفظ استقلالها، يمكنه أن يحمي وطنه من سلطة الآخرين؛ والعكس صحيح أيضاً.

الشخصية المستقلة للإمام

بدون تردد. قد استقرت الشخصية العظيمة للإمام الراحل بأبعادها المختلفة في مقامات رفيعة، ومن ضمن هذه الأبعاد الاعتماد على النفس، والاستقلال. ودون مبالغة يجب القول أن العالم لا يلحظُ هكذا شخصية مستقلة سوى في عداد الأنبياء والأولياء. وسرُّ هذه الرفعة هو التحرر من قيد عبودية الدنيا وزخرفها وزبرجها: ومثلما قال الإمام نفسه: «**إن جميع التعلقات والتبعيات تنشأ من تعلق الإنسان بنفسه، وهي تنشأ من ذات الإنسان، عندما يكون الإنسان تابعاً وتكون نفسه متعلقة بعالمه ونفسانيته، وإذا تمكّن من التخلص من هذا التعلق والتبعية، والتحرر منها، يصبح إنساناً حراً، وعندها لن يخاف من أي أحد، ولو اجتمعت جميع قوى العالم. فغاية ما يحصل له الموت، ولا يوجد أكثر منه**».[275]

وبنظرة سريعة إلى حياة ذلك العظيم، نجد أنه كان يعتمد على هذه الروحية في جميع مراحل المواجهة والثورة، وفي جميع تقلبات الحرب والانتصار، وفي المسائل السياسية والإجتماعية،

والحوزة ومقام المرجعية المقدس، والقيادة.. فمع معرفة الحق وامتلاك العزم، لم يكن ليقع تحت تأثير أي شخصٍ أو شيء. وفيما يلي نقرأ معاً لمحة من هذا البعد في شخصية الإمام:

1 . قبل الانتصار

إن الظروف الحالكة والمضطربة في عهد النظام الملكي، قد أودت بحياة بارقة الأمل في القلوب، وطوقتها بطوق اليأس والقنوط، حيث لم يطمع أي شخص ببارقة أمل في الإنتصار، وكان الجميع قد تحولوا إلى أشخاصٍ مرعوبين من دعايات الشاه، وتعذيبه وقتله. الإمام الراحل - رحمة الله عليه - يشير إلى تلك المرحلة قائلاً: «.. **لم تكن الأوضاع مثل اليوم، وكلُّ شخصٍ لم يكن معتقداً بالجهاد مئة في المئة، كان يفرُّ من الباب تحت وطأة ضغوطات وتهديدات المتظاهرين بالقداسة إلى خارج الميدان. إن مقولات مثل: «الشاه ظلُّ الله» و «باللحم العاري لا يمكن الوقوف بوجه الدبابة والمدفع» و «لسنا مكلَّفين بالجهاد والمبارزة» و «من المسؤول عن دماء المقتولين»، وأكثر تدميراً من الجميع الشعار المضلّ «الحكومة قبل ظهور إمام الزمان عليه السلام باطلة»، والآف أخرى من «إن قلتَ»، كانت هي المشكلات الكبرى والمهلكة، والتي لم يكن بالإمكان الوقوف بوجهها بمجرد النصيحة وأسلوب المواجهة السلبية والدعاية».** (276)

في تلك الفترة، شد الإمام، بالتوكل على الله والإعتماد على

النفس، عرى الهمّة ونزل إلى الميدان برجولة، وتابع طريقه بإضاءة أفق الجهاد، ولم يخف من أي شخص سوى الله. وبتعبير آية الله الأميني: «**كان الإمام قد وصل إلى مرحلة اليقين، يُشخِّص تكليفه بدقة ويتابع تنفيذ الهدف بقاطعية، ولا يخاف من أية قوة، مطمئناً ومستكيناً للوعود الإلهية**».(277)

وكان يتوجه بنفس اطمئنان الخاطر والسكينة الروحية إلى محاربة كل الظروف الصعبة. ينقل آية الله بهاء الديني بهذا الشأن: «**في حدود سنة 57 هـ. ش (1317 هـ.ق). أقامت الحكومة البهلوية مهرجان "كشف الحجاب". وكنا نحن في المدرسة الفيضية. الجميع لم يكونوا مرتاحين. حيث دعي الرجال إلى مرافقة نسائهم دون حجاب إلى حفل الشاه الذي أقامه. قال الإمام لنا: "إن دعينا من قبل الشاه، فما الذي يجب فعله"؟ ولم يمهلنا كي نجيب. فقال: "سوف لن نقبل"**».(278)

يقول آية الله بني فضل: «**إنَّ الأمر الذي كان سماحة الإمام يشخَصه كتكليف شرعي، كان يُقدم على تنفيذه بشكل جدّي. ولو قُيِّض للدنيا جميعها أن تقف في وجهه، ما كان لينصرف عن عزمه. حيث لم يكن يعتني بملامة الآخرين مقدار ذرة، بل حتى خلال مرحلة ثورته المقدسة من سنة 41 إلى سنة 57 هـ.ش عاش فترة يصدر فيها البيانات لوحده**».(179)

كان الإمام يؤمن بهدفه، وانتخب الطريق الصحيح للمواجهة، وشرعَ في جهاده بكل طمأنينة. حيث لم يكن في قاموسه معنى

للخوف من قلة الإمكانات أو عدم وجود الناصر، بل كان ينتظر من أقرانه أن يهمّوا للجهاد بشجاعة أتمّ؛ وهكذا فعل.

نقل آية الله الشهيد سعيدي: «**إلتقيتُ بالإمام وقلتُ له: أنتم تمضون وحيدين (في المواجهة ضد الشاه). فقال: إن يكن الجن والإنس في طرفٍ وأنا في الطرف المقابل، فموقفي هو نفس ما أقوله الآن (خلال المواجهة)**».(280)

وكذلك، لم تُحدِث «عشرة الفجر» - والتي كانت أيام اضطراب وخوف للجميع - أي نوع من الخلل في الإرادة الفولاذية للإمام. بل كان بسكينة لا تقبلُ الوصفَ يرى الانتصار على بُعدِ قدمٍ منه.

يقول آية الله حسين النوري حول هذا الموضوع: «**كان الإمام مطمئناً مئة في المئة بشأن عمله، وعلى يقين من انتصاره وتقدمه من قبل أن يسقط نظام الشاه، فقد التقيت به في مدرسة الرفاه. وقلت: سيدنا! أطلبوا من الناس أن يعزلوا النواب حتى يسقط المجلس. فقال الإمام: كلا! لن يصل الأمر إلى هذا المستوى. فبعد يومين أو ثلاثة سيزولون، وسيسقط النظام!**».(281)

2. بعد الإنتصار

بدون شك، لقد كانت المشكلات التي تلت الثورة أكثر اتساعاً وصعوبة من تلك التي ظهرت في فترة المواجهة مع النظام: مثل: الحرب في كردستان. «قضية گُنبد»، الائتلاف المشؤوم لليبيراليين والمنافقين، يوم السابع من شهرتير، يوم الثامن من شهر شهريور،

إنقلاب «نُوژِه» (نُوجِـهْ)، أحـداث طبس الخ. ولو لم يكن التـدبيـر والإعتماد فـي مواجهتهـا على نفس الإمـام، لابتلي البلد بأوضاع صعبة. ولكن الإمـام كان يتجاوز هذه الإضطرابات كلّها مثل جبلٍ راسخ، ويوجّه دفة سفينة الثورة مـثل قبطان مـاهر على صفحة الأمواج العـاتية تلك، ويوصلها إلـى سـاحل النجاة والأمـان. ولم يُبتلَ قطُّ بالتـزلزل الروحـي أو التـذبذب السيـاسـي، ولم يفـرَّ أمـام أية مـشكلة، أو يطأطأ رأسـه تعظيـمـاً أمـام أية قـدرة. بل كلمـا كـانت الضـغـوطات الداخليـة والخـارجـيـة تزداد على الثـورة والنظام الإسلامي، كانت مقـاومة وصمود الإمام والأمـة تزداد ايضاً. وكـان يتـابع طريقـه بجـدية أكـثـر من السـابق. وعلـى سـبـيل المثـال، قـال عندمـا استـشـهـد رئيس الجـمـهورية ورئيس الوزراء العـاليي المقـام، رجـائـي وباهنـر: «.. **مـثـلمـا يلاحظ المراقـبـون في الـداخـل والخـارج، لقد أنجزت إيران عملاً ليس له نظيـر في التـاريخ. فجميع الثـورات التي قـد وقـعت، كـانت تـابعة للشرق أو الغـرب، كمـا أنهـا قـد واجـهت مـشكلات كبـيـرة في الطـريق، ولا زالت. إلاّ أن ثورة إيـران هـي ثـورة مـسـتـقلة.. هي ثـورة شـعـبـيـة لكن عـلى أسـاس الإسـلام، فـهي ثـورة إسـلامـيـة.. هـذه المسيرة الإسـلامـيـة مـحـفـوظة، وسـتـتـقـدم بـاقـتـدار أكـثـر نحـو الأمـام.. واولـئك الـذيـن استـشـهـدوا في الفـترة الأخـيـرة، كـان كل فـردٍ منهم ذا اعـتـبـار وقـيـمـة لدى أمـتـنـا.. لكن فـي نفـس الوقت الذي قد توفي فيه كل واحدٍ منهم، فستصير أمتنا أكثر قوة، فردياً واجتماعياً، وسيكثر انسجامها وتزداد يقظتها**».[282]

كان الإمـام عـالمـاً ربانيـاً ومؤمناً حـقيقيـاً، يقيّم المسـائل ببصـيرة

إلهية. وبتعبير النبي الأكرم ﷺ: «**المؤمن ينظر بنور الله**».[283]

ولذا، لم يبتلَ الإمام أبداً في الأعمال التي أقدم عليها بالحيرة والإضطراب، بل كان يبيّن رأيه في القضايا بكل قاطعية واطمئنان. يقول آية الله الموسوي الأردبيلي بهذا الشأن: «**إن قدرة الإمام على الإقدام هي إحدى أعظم مميزاته. وبحق، يمكن الإدعاء أنها إحدى أهم العوامل التي قد عبّدت الطريق خلال جميع مراحل الثورة، وقد جربنا ذلك لمرات عدة، فما وجدنا مسألة واحدة مبهمة لديه، حيث كان الإمام يرى الطريق دوماً بوضوح ومن ثم يصمّم**».[284]

ويقول أيضاً: «**قررت الحكومة المؤقتة أن تستقيل دون أن تضع الإمام مسبقاً في صورة الموقف. فتوجهت أنا والشهيد بهشتي والشهيد باهنر إلى قم حتى نضع الإمام في صورة ما يجري، ونقف على رأيه في القضية. بعد طرح المسألة، قال الإمام بشكل بسيط وعادي: أنا قناعتي أن أقبلَ الإستقالة!.**

مسألة كهذه كنا قد بحثناها من طهران حتى قم، ونخشى من عاقبتها، الإمام قدم لها الحل بهذه الصراحة والبساطة! قلنا له: وما الذي يجري بعد ذلك؟ قال: لا شيء! إذهبوا وأديروا شؤون البلد! ولينجز الناس أعمالهم بأنفسهم».[285]

هذه الإرادة الفولاذية وهذا الإعتماد على النفس في كل مراحل الثورة، والخطوات التي اتخذها الإمام، هما الأمران اللذان كان الإمام يستفيد منهما.

3. تقوية روح الأمة

إنّ الإمام الراحل ـ رحمة الله عليه ـ الذي كان قد تذوق هو نفسه الطعم اللذيذ للإعتماد على النفس، كان يحبُّ أن تفرغ الأمة من عقدة الحقارة والنظر بازدراء إلى ذاتها، وأن تقوى روحية الإعتماد على النفس فيها. ولهذا كان يقود الناسَ بالقول والعمل في هذا الاتجاه، حتى تنالَ الجمهورية الإسلامية والشعبُ الأبي والثوري الإكتفاء الذاتي والإستقلالية في جميع المجالات الثقافية، والاجتماعية والإقتصادية والسياسية والعسكرية والصناعية..الخ.

يقول بقية الإمام سماحة (المرحوم) السيد أحمد الخميني: «**كان الإمام يقول: يجب أن نكون مستقلين وغير تابعين. يجب أن نعتمد على أنفسنا. يجب أن نحيا بصورة نستطيع معها أن ندير أمورنا، وأن نكون مكتفين**».[286]

كان ذلك العزيز الراحل يؤكد في أكثر خطاباته وبياناته النفيسة على هذه النقطة، وبحق يجب أن نقول أن شعب إيران الواعي قد سمع هذا الإرشاد بأذن روحه، وسعى بجدية لقطع حبال التبعية. ومع ذلك، كان الإمام يعلمُ جيداً صعوبة هذه المسيرة وطولها، ويعتبرُ بكل دراية أن عملاً كهذا يجب أن يصل مع طول المدة إلى الهدف النهائي. ولهذا السبب، أكد على هذا الأمر في وصيته السياسية الإلهية، وأوصى الناس قائلاً: «**فيجب أن تراقبوا بوعي ويقظة كي لا يجركَم الساسة المتلاعبون المرتبطون بالغرب والشرق وبوساوسهم الشيطانية نحو هؤلاء الناهبين الدوليين. وانهضوا**

بإرادة مصممة وفعالية ومثابرة لرفع أنواع التبعية، واعلموا أن العنصر الآري أو العربي لا يقلُّ عن العنصر الأوروبي والأمريكي والروسي، وإذا وجدَ (العنصر الآري أو العربي) هويته الذاتية وأبعد اليأس عنه ولم يكن له مطمع بغير نفسه... فإنه قادر على المدى البعيد على كل فعل، وصناعة كل شيء.. وما وصل إليه الناس المشابهون لهؤلاء فأنتم ستصلون إليه بشرط الإتكال على الله والإعتماد على النفس وقطع التبعية للآخرين وتحمُّل الصعوبات من أجل الوصول إلى الحياة الشريفة والخروج من سلطة الأجانب».(287)

13

الشجاعــة

يكتب عالم الأخلاق الفاضل - المرحوم النراقي - بشأن الشجاعة، فيقول: «.. **الشجاعة طاعة قوة الغضب للعاقلة في الإقدام على الأمور الهائلة، وعدمُ اضطرابها بالخوض في ما يقتضيه رأيها. ولا ريبَ في أنها أشرف الملكات النفسية وأفضل الصفات الكمالية، والفاقد لها بريء عن الفحلية والرجولية.. وقد وصف الله خيار الصحابة بها في قوله: ﴿.. أشداء على الكفار﴾**».(288)

وعلى هذا الأساس، قد تمت التوصية في آيات متعددة أن لا يخشى المؤمنون أحداً غير الله تعالى، وأن يقفوا ويقاوموا كل أعداء الله والناس، ومن بين تلك الآيات نختار هذه الآية التي أثنت على أصحاب النبي ﷺ بالشجاعة وشدة العمل في مواجهة الكفار: **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماءُ بينهم..﴾**.(289)

وعليه، فمن اللائق والجميل أن يكون قلبُ كل مؤمن مليئاً بصفة الشجاعة المحمودة، وأن لا يخشى العقبات والأعداء في ساحات الحياة المختلفة ومواقفها.

الإمام الخميني أسوة الشجاعة

يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «**نحن في العلم والشجاعة سواء**».(290) وبناءً على هذا الحديث، بين العلم والشجاعة عروة لا

تنفصم، فذاك الشخص الذي تكون معرفته الدينية أكثر، هو الحائز على صفة الشجاعة المحمودة أكثر.

لقد استقر الإمام الراحل ـ رحمة الله عليه ـ في مقام «المرجعية الكبرى» الرفيع، وسطع نجمه في سماء الدين كمجتهد أعلم مثل شمس تَشع على العالم. وفي الوقت عينه كان يتحلى بشجاعة لا توصف: وبتعبير شيخ الفقهاء حضرة آية الله العظمى الآراكي(قده): «**هو (الإمام) مثل جده علي بن أبي طالب** عليه السلام: **كل هؤلاء من أمثال عمرو بن عبد ود يزبدون ويرعدون، وهو لا يخاف أبدا، فأية شجاعة هي هذه التي قد منحه الله إياها؟!**».[291]

كان الإمام صاحب همة عالية جداً، يدور في خَلَدِه الأمل الكبير بتحرير المستضعفين، ومثل هكذا همة كانت تحكي عن الشجاعة العالية لذاك العظيم: كيف لا، والإمام علي عليه السلام في كلامه يشير: «**شجاعة الرجل على قدر همته**».[292]

وبسبب هذه الشجاعة العالية نفسها، كان ذا غيرةٍ وحمية كبيرين، حيث وقفَ بقامة راسخة كرسوخ الجبل في وجه جميع الإعوجاجات والمسلكيات المنحرفة، ولم يتوانَ عن فعل ما يلزم: كيف لا والحال: «**أنَّ مروءة علماء الدين والفقهاء العظام، وشجاعتهم، لا تجعلُ لهم سوى الصدق والمصداقية (في النفوس)، فهم قد قطعوا قيدَ التعلّقات. فلا الطمع قد سكن أرواحهم ليلبسوا ثوب الرياء ويرتدوا زي التزوير بهدف الايقاع بخلق الله، ولا الخوف قد أخذَ منهم مأخذه ليرفعوا لواء الغش ويسيروا في**

طريق الخداع، طمعاً بعيش أيّامٍ معدودات».(293)

وفيما يلي، نوضح جانباً من الشجاعة اللامحدودة لذاك العزيز الراحل، على قلةِ ما نحمله من بضاعة:

1 . في مواجهة الطاغوت

إن أهم عامل ظلَّ يبقي الأمة لسنوات طوال تحت نير العبودية والأسر في يد الظالمين، هو خوفها ورعبها من قدرة الطواغيت. وإن قُدِّر لأمة أن تزيل الخوف والجبنَ من قلبها، وتقفَ وقفة أسد شجاع في مواجهة الطاغوت، فإنها تحطم سريعاً شوكته الكاذبة وقدرته الزائلة. وتأتي بالحرية هديةً.

الإمام الخميني كان من الأشخاص المعدودين الذين وقفوا في وجه الطاغوت، وأذلّ طواغيت زمانه. وبتعبير قائد الثورة العزيز، آية الله العظمى الخامنئي: «**لقد حطَم الأصنام وأزال عقائد الشرك، وأفهم الجميع أن صيرورة الإنسان إنسانا كاملا، والعيش مثل علي ليس أسطورة. ولقد أفهم الشعوب أيضا أن الإقتدار وكسر قيد الأسر، وتوجيه ضربة إلى قدرة المتسلطين هي أمور ممكنة».**(294)

لقد كانت المواقف الحازمة التي يتخذها الإمام في مواجهة جلاوزة نظام الشاه شاهداً على الشجاعة العلوية لذلك العظيم، والتي كانت تضرب بجذورها في عمق التدين والتقوى والإيمان القوي. ولم يكن الإمام ليحسبَ أي حساب لكلّ القوى ولجميع

الدسـائس، أمـام تكليـفـه الثـوري بين يدي الله عـز وجل، بل كـان وجهه يضحك للموت. يقول آية الله إمامي كاشـاني: «**إنّ شهامة الإمام وقاطعيته، تلك القاطعية التي بها أحدث الثورة وقادها، ناشئان من تقواه وإيمانه، فهو شخص لا يخشى الموت، ولا يخاف في الله لومة لائم...**».[295]

ويقول آية الله فاضل اللنكراني أيضاً: «**لم يكن الإمام ليخاف أو يخشى من أي تهديد أو أية مسألة، وهو الذي قال في الثالثة والستين من عمره: «أنا إلى الآن لم أخش شخصا أو شيئا، ولم يجد الخوف طريقاً إليَ»**».[296]

ويقول حجة الإسلام قرهي كذلك بشأن هذا الموضوع: «**في سنة 43 هـ.ش قال الإمام على آثر خروجه من السجن، حيث كان يخطبُ في المسجد الأعظم في قم: «والله لم أخف طوال عمري كله!» في تلك الليلة ايضاً التي أتوا فيها (الساڤاك) ليعتقلوني، كانوا هم الذين يرتجفون، وأنا الذي كنتُ أواسيهم**».[297]

لقد ورث محطم أصنام العصر عن جدّه كاسر الأصنام إبراهيم عليه السلام، روحية الإقدام والشجاعة، حيث وبالتوكل على الله القادر والمتعال وبغية كسب رضاه، لم يجعل الإمام في مواجهة قوة نمرود العصر، لأقلِّ خوفٍ طريقاً إلى قلبه، بل كان يترنم بقول: «**حسبي الله**» في مقابل كل نارٍ كان النماردة يوقدونها. ويستريح في ظل حديقة الإيمان الغنّاء.

ونختم هذا القسم بحديثِ صاحبٍ آخر من أصحاب الإمام.

حيث يقول: «**في سياق عدم مهادنة نظام الشاه، قال الإمام موجهاً الخطاب إلى مولوي ـ رئيس الجهاز الأمني لطهران: "أنا أراقبُ أعمال الشاه وأزلامه، فإن بقيت أعمال هؤلاء على هذا المنوال الذي تسير عليه الآن، ضد الإسلام والقرآن والشرع، فسوف أستمر فيما أنا عليه الآن.. ومن جهة أخرى ما الذي يقوله هذا الرجل (الشاه): أقتلُ، أعتقلُ، القتلُ، الاعتقال، الصيّدُ؟!"** . قال العقيد مولوي: "هل تسمحون بأن أُذكِّر؟" **قال الإمام: "ذكِّروا.. لكن ما هو العمل الذي قد تصل يده إليه ولم يقم به؟!"**».(298)

2. الإمام ودرس الشجاعة

بحق، لقد كان ذلك الإمام العظيم ـ قدّس الله سره ـ في جميع الصفات والتصرفات الإسلامية والأخلاق الإنسانية الحسنة، أسوة وقدوة للأمة. ومن جملة ذلك كان الإمام شجاعاً يستنهض الأمة أيضاً بالقول والفعل، ويمنحها روحية الشجاعة. وبلسان حضرة آية الله الجوادي الآملي: «**لم يكن حضرة الإمام يخاف من أي شيء، أو يخيفُ أي شخص كذلك. وكان يقول: لا تخافوا. الإنسان خلق كي يصل إلى لقاء الله، فما أجملَ أن يصل إلى لقاء الله شهيداً**».(299)

في سنة 1342 هـ. ش ـ والتي أُغرقت فيها المدرسة الفيضية بالنار والدم على يد جلاوزة الشاه ـ أحيط بيت الإمام أيضاً بخطر جدّي، وكان يُنتظر في كل لحظةٍ تمضي أن يشنّ العناصر هجوماً

هجوماً عليه، ولهذا: «**أمر أحدُ السادة أن يُقفل باب منزل الإمام. فانتبه الإمام لذلك، وقام من مكانه وقال: يضربون أبنائي من الطلاب، ويخرِّبون المدرسة، وتريدون أن يقفل بابي؟! ثم أمرَ أن يفتحوا الباب، وقال: دعوا كل شخصٍ يريد أن يأتي!**».[300]

والملفت أن رجلَ الحربِ المقدامَ ذاك، كان يعتبرُ أن قائده في جميع مواقف المواجهة وميادينها، هو إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه، وأنه ينفذ أوامره، وكان يُعلِّمُ الآخرين ايضاً أن يكونوا كذلك. ينقلُ حجة الإسلام توسّلي: «**بعد خروج الإمام من السجن، ألقى خطاباً حماسياً في تكذيب ادعاء نظام الشاه. فجاء العقيد مولوي - رئيس جهاز السافاك في طهران - للقاء الإمام، وفي سياق الاعتذار، قال جملة ظهرت منها رائحة التهديد؛ قال**: «أيها السيد! هلا تركتمونا نقوم بعملنا كجنود!». **فوضع الإمام إصبعه فوراً على صدره (مشيراً إلى نفسه) وقال غاضباً**: «**أنا ايضاً جندي الإسلام، فهلا تركتمونا نحن أيضاً نقوم بعملنا كجنود!**».[301]

إن نداءات ذلك العزيز الفقيد وخطاباته القيّمة مليئة أيضاً بالنقاط المربية على الأصالة والشجاعة، حيث تأنس لها أذن روح الأمة، وتحذرها في جميع المواقف من الخوف والجبن، وكثرة تلك الخطابات تغنينا عن ذكر النموذج أيضاً.

لا يوجد أدنى شك أن يقظة مسلمي العالم وجرأتهم، بدءً من إيران الإسلام وصولاً إلى الجزائر وفلسطين ولبنان وأفغانستان والبوسنة..الخ، مرهونان للنداء الذي كان يرتفع من حنجرة رجل

الله ذاك، لقد وقف جميع أحرار العالم رجالاً ونساءً في وجه الحكومات الظالمة والمعاندة لله، بالإرشادات النبوية للقائد الإسلامي الشجاع، وصنعوا مواقف البطولة والإيثار. كما أن المواجهات القاسية لشعب إيران الشجاع في عهد الظلم الملكي، وخلال حرب الثماني سنوات غير المتكافئة للدفاع المقدس، وبهدف جلب النصر النهائي، كانت ثمرة روحيةِ طلب الشهادة لدى الناس، حيث نالت نصيبها من الأنفاس القدسية لذلك العزيز. وقاومَ الشعب مثل الإمام خلال مرحلةِ الإضطرابات والثورة بلا خوف، كل القوى المتغطرسة مثل أمريكا ناهبة العالم، ولم يدع للخوف طريقاً إلى نفسه أبداً.

14

الشكر

الشكر والحمد من الصفات والأسماء الإلهية الجمالية؛ كما قال تعالى: ﴿.. **فإن الله شاكر عليم**﴾.[302]

«والشكر هو مقابلة من أحسنَ إليه إحسان المحسن بإظهاره لساناً أو عملاً.. والله سبحانه وإن كان محسناً قديم الإحسان، ومنه كل الإحسان لا يدَ لأحدٍ عنده حتى يستوجبه الشكر، إلاَّ أنه جل ثناؤه عدَّ الأعمال الصالحة التي هي في الحقيقة إحسانه إلى عباده، إحساناً من العبد إليه، فجازاه بالشكر والإحسان..».[303]

ويتحلى عباد الله الصالحون بصفة الشكر الإلهية، ويقدّرون نعمةَ كلِّ منعم ويعظمونها. غير أنه يجب أن نعترف أن الشاكرين الحقيقيين هم قلة، مثلما قال تعالى: ﴿.. **وقليل من عبادي الشكور**﴾.[304]

ولعلّ سبب قلة الشاكرين الحقيقيين هو أنّ النعم الإلهية - المباشرة وغير المباشرة - متنوعة ومبذولة بنحو أنه لا يستطيع إظهارها سوى العباد الصالحون والعقلاء العارفون بالله، الذين قد نظموا حياتهم وفقاً للبرنامج الإلهي.

الإمام الشاكر

ليسوا قلة. هم القادة الذين كانوا قبل وصولهم إلى السلطة يقيمون علاقة حسنة مع الله والناس. إلاّ أنهم وبمجرد وصولهم

إليـهـا نسـوا الله والنـاس. ولكن السـالكين الذين قـد تربوا في مـدرسـة الوحـي، لم يكفـروا بـالنعـمـة أبداً، فكانوا على الدوام في السـراء والضـراء، الحـامدون للمنعم الحـقيقي، ووسـائط في نزول النعمة؛ والإمام الراحل هو من زمرة هؤلاء.

فلقد جُبلَ الحمد والشكر في طينة الإمام، وكان لهذه الخصلة الممدوحة جذراً يضرب في روحه وينبع من إيمانه. وفيما يلي من البحث، نمضي بقدر ما يتسع له الكتاب، إلى بيان هذه الصفة في وجود ذاك العزيز الراحل:

1 . شكر الله ورسوله

إن كل ما وصل إليه الإمام الخميني وما كان لديه لهو من تربية الإسلام الأصيلة، حيث شكّلت معارف القرآن جوهر شخصيته. فقد كان تابعاً أصيلاً لمحمد صلوات الله عليه وتلميذاً وفياً لعلي عليه السلام، ورث العرفان والبطولة، الشجاعة والإيثار، العلم والحلم، الدراية وحدة الذكاء، الاخلاص وطهارة الفطرة.. من الأئمة الأطهار، وتغذى من زلال الوحي. ولذا، فقد كان ينظر بعين القلب فيرى أنّ ما أعطي له قد تحقق بفضل عناية الله، وبيُمنِ وجود الإسلام وقادته الحقيقيين.

وعليه، فقد كان من الطبيعي أن يكون الله والنبي والأئمة، والقرآن والإسلام نقطة ارتكاز في كلام الإمام، في خطاباته ونداءاته، وأن يصرفَ عمراً في نشر دين الله الخالد، وأن يؤدي ما

عليه من دَين تجاههم بالقول والعمل. وكان هذا الشكرَ الأفضلَ الذي يليقُ أن يقدَّم في محضرِ الله والنبي والإسلام. وقد قال في نداء بمناسبة تحرير «**خرمشهر**»: «.. **الحمد لله القادر حمداً لا حدّ له، أن جعلَ هذا البلد الإسلامي، والمجاهدين الملتزمين والمضحين مورد عنايته وحمايته، وتفضّل علينا بنصره الكبير..**».(305)

2. تقدير الناس

صحيح أنّ النعمَ جميعها هي من الله، وأنه هو المنعم الحقيقي، لكنَّ الله نفسَه قد طلبَ من عباده أن يشكروا وسائط النعمة أيضاً: كما قال بشأن الأب والأم: ﴿.. **أن اشكر لي ولوالديك**﴾.(306)

إنّ شكر المخلوق وإن كان شكراً للخالق أيضاً؛ ويقع في طول شكره تعالى، إلاّ أن الشكر المباشر للناس له أهمية بالغة، حيث قال الإمام الرضا عليه السلام: «**من لم يشكر المُنْعِمَ من المخلوقين لم يشكر الله عز وجل**».(307)

ولامتلاكه المعرفة الكاملة بهذه النكتة، كان إمام الأمة رضوان الله عليه يقدّر دائماً أعمال طبقات المجتمع المختلفة، حيث وجه الشكر في مناسبات مختلفة لإيثار هذه الأمة وتضحياتها ومقاومتها ووفائها، كقوله: «**يجب علينا أن نشكرَ الشعبَ الإيراني، هذا الشعب اليقظ والمتنبّه والمقاوم للظلم، والذي لا زال يقاوم**

على الرغم من كل هذا الظلم الذي يواجهه، والشهداء الذين يقدمهم».(308)

وكقوله: «**يجب أن يُقال أنّ ثورة إيران كانت أفضلَ ثورة عرفتها الدنيا حتى الآن، والسبب في هذا أنّ الأمة المسلمة هي التي ثارت. فالثورة لم تكن مرتبطة بحزب.. ولم تكن انقلاباً عسكرياً، بل كانت ملكاً لنفس هذه الأمة، وهي التي قد ثارت وتقدمت وهزمت الخصم، وهذا الشعب كان شعباً اسلامياً أيضاً».**(309)

ويتحدث عن وحدة الأمة وتلاحمها، اللذان هما منشأ كثير من الخيرات والبركات الاجتماعية فيقول: «**لقد أثبت الشعب الإيراني المظفَر والمرفوع الرأس، بإظهار قدرته العظيمة خلال الوقائع المختلفة للثورة، هذه الحقيقة والواقعية. وقد دلَل على أن شيئاً لم ولن يقلل من بحر نداءات وحدته وتلاحمه، وأنّ ناهبي العالم سوف يحملون معهم إلى القبر - إن شاء الله - وإلى الأبد، حسرة فشل فصم عرى الاتحاد المقدس للشعب».**(310)

وفي بعض الأحيان، كان يعتبر الشعب البطل والثوري أساس افتخار الإسلام، ويزهو بتواضع أنه يصحب أمة كهذه: «**أمّا اليوم فإننا نرى شعب إيران بدء بالقوى المسلحة من الجيش والأمن الداخلي والحرس والتعبئة إلى القوى الشعبية من العشائر والمتطوعين، والقوى التي في الجبهة، والناس المحترمين خلف الجبهة اية تضحية يضحون واية ملاحم يسطَرون بكل شوق ولهفة .. ويجب أن يفتخر الإسلام أنه ربّى مثل هؤلاء الأبناء**

ونحن كلنا فخورون بأننا في عصر كهذا وعلى أعتاب شعب كهذا..».(311)

«أنا أدعي بجرأة أن شعب إيران وجماهيره المليونية في العصر الحاضر أفضل من شعب الحجاز في عهد رسول الله ﷺ، وشعب الكوفة والعراق في عهد أمير المؤمنين والحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما..».(312)

3 . شكر فئات الأمة وشخصياتها

زيادة على شكر الإمام الخميني وتقديره المتكرر لعموم أفراد الشعب، كان يثمن غالياً الخدمات الرفيعة والجهود المعطاءة للجمعيات وأركان المجتمع والأفراد والشخصيات كل بحسبه، ويقدم لهم الشكر بعطف وتواضع. وللمثال:

أ . الشهيد وعائلته

لم يغفل إمامُ الشهداء، ومنذ الأيام الأولى للمواجهة وحتى اللحظة الأخيرة لعمره المبارك، عن الذكر الخالد للشهداء عاليي المقام، وعائلاتهم. وكان يقدرهم بالقول والعمل. وفي أحد نداءاته الذي صدر بحق المضحين العاشقين أولئك. قال: «**السلام على شهداء حرس الثورة الإسلامية وجميع القوى المسلحة الإسلامية الملتزمة وعلى عائلاتهم العزيزة والمربية للأبطال. سلام الله على عوائل الشهداء الذين قد رسموا ولا زالوا أعظم ملاحم التاريخ المعاصر، بصبرهم وعزيمتهم ومقاومتهم. وتقديم أعزائهم**

في سبيل الله والإسلام.. إن شعب إيران الشريف يقدر عالياً (تضحياتكم) يا عوائل شهداء حرس الثورة الأعزاء، وأعلى من ذلك، الثواب الذي ستنالونه وجميع شهداء الإسلام وعوائلهم في محضر الرب المقدس.. إنني وبعنوان خادمٍ، وداعٍ حقير، أعتبرُ هذه الأمة مرهونة لهؤلاء الأعزاء، وأطلبُ المغفرة من الله العظيم..».[313]

ب. حكومة الشهيد رجائي

على أثر فتنة الليبيراليين وعزل بني صدر الخائن وفراره، انتخب الشعب باقتراعه الحاسم، الشهيد رجائي لرئاسة الجمهورية، والذي رفع إلى المجلس إسم الشهيد باهنر لمنصب رئاسة الحكومة، وبعد حصول الحكومة على موافقة المجلس، تشرّفَ أعضاؤها بتاريخ 1360/5/29هـ.ش بلقاء الإمام، والذي قال في سياق التوجيهات اللازمة (للحكومة): «**أنا أدعو الله، إن شاء الله، أن يوفقكم ويؤيدكم. ونحن بحمد الله تعالى ولعله على مدار التاريخ - لم يكن لدينا هكذا حكومة بمثل هذه الصحة وهذا الخير، و(تضمُّ) كل هذه الوجوه النورانية..**».[314]

ج. الثوار

في حادثة هجوم أزلام النظام البهلوي على المدرسة الفيضية، توجه عدد من الطلاب المضروبين والمجروحين إلى منزل الإمام، وأوضحوا مجريات الأحداث فقال أحد الطلبة: «**أتأذنون أن يقفلوا**

باب المنزل؟». قال الإمام: «كلا! لا أجيز ذلك. وإن أصريتم، فسأخرج من المنزل وأذهب إلى الشارع. هذه العصي كان يجب أن تسقط على رأسي، وقد نزلت على رؤوس الطلبة. أفأغلق باب بيتي الآن؟ ما هذا الكلام؟».[315]

وأثناء الحرب، كان الإمام يثني في كل مناسبة على شجاعة قوات الإسلام وإقدامها، ويشكرهم بأفضل العبارات. ومن جملة ذلك بتاريخ 1360/2/31هـ.ش حيث حرر المجاهدون البواسل مرتفعات «الله اكبر»، فأثنى عليهم في رسالة بعث بها إلى رئيس الجمهورية بقوله: «**جناب السيد رئيس الجمهورية: أبلغوا تقديري للقوات المسلحة وقادتها المحترمين على السيطرة على مرتفعات «الله اكبر» وأسرِ عددٍ كبير من أعداء الإسلام، والذين قد انتصروا بفضل التنسيق والإنسجام نصراً مؤزراً على القوى الشيطانية. كونوا مطمئنين هم كذلك، أنه بحفظ الوحدة والتنسيق والإتكال على لله، سيكون النصر النهائي من نصيب القوات الإسلامية. وليكن الله المتعالي سندكم وملجأكم**».[316]

د. حرس الثورة

أُسِّسَ جيش حرس الثورة الإسلامية في سنة 1357هـ.ش بأمر الإمام العزيز، وخطا خطوات مؤثرة في طريق تحقيق الأهداف المقدَّسة للجمهورية الإسلامية، وحفظ الثورة، وأوفى بالدور المعهود إليه.

ولمعرفة إمام الأمة بالدور الثوري لقوات الحرس وإخلاص أبنائه التام، لم يمتنع عن أي نوعٍ من أنواع المساعدة لأجل تقوية هذه المؤسسة المقدسة، وأظهر بعبارات جميلة ومحكمة رضاه وتقديره مرات عدة؛ ومن جملة ما قاله: «**إن أصل جميع ما لدى شعب إيران هو من حرس الثورة هؤلاء، الذين أُحبهم كثيراً وأُكِنُّ لهم مودة عظيمة؛ وأنا شاكرٌ لهم**».(317)

هـ - حضرة آية الله العظمى الخامنئي

في النصف الأول من عام 1360هـ.ش، كان القائد العزيز للثورة نائباً في مجلس الشورى الإسلامي، وإمام جمعة طهران، وممثلَ الإمام في الشورى العليا للدفاع.. حيث أثارت جهوده المخلصة في دفع الثورة نحو الأمام غضبَ أعداء الثورةِ الإسلامية وخطِ الإمام، فقاموا في حادثة جبانة بمحاولة اغتيال صاحب الإمام الوفي، لكن الله لحسن الحظ حفظه لمستقبَلِ الثورة. إلاّ أنه أُصيب بجراحٍ بليغة وأدخل إلى المستشفى. وفي طيِّ رسالة بعث بها إليه. قال الإمام الخميني له: «.. **الآن، فإن أعداء الثورة عن سوء قصد نحوكم أنتم الذين من سلالة الرسول الأكرم وأسرة الحسين بن علي، والذين لا جُرم لكم سوى خدمة الإسلام والبلد الإسلامي. أنتم الجندي المضحي في جبهة الحرب، والمعلم المربي في المحراب، والخطيب المفوه في الجمعة والجماعات. والقائد العطوف في ميدان الثورة قد برهنوا على ميزان فكرهم السياسي وحمايتهم للناس ومخالفتهم للظالمين!! لقد جرحوا بسوء فعلهم نحوك**

عواطف ملايين الناس الملتزمين في أنحاء البلد، بل في أنحاء العالم».(318)

و. حجة الإسلام والمسلمين هاشمي رفسنجاني

إن الشخصية العالية المقام في الثورة الإسلامية، جناب الشيخ هاشمي رفسنجاني، استهُدف أيضاً في منزله، وكان غرضاً لسوء نية المنافقين عُمي القلب، فجُرِح بشدة وأُدخل المستشفى. لكنّ حاله تحسن بالعناية الإلهية وتماثل للشفاء مجدداً. وكذلك، تفقّد إمامُ الأمة صاحبه الوفي هذا وشكره في رسالة بعث بها إليه أيضاً: «**جناب حجة الإسلام المجاهد والملتزم، السيد هاشمي العزيز: إن المرحوم (آية الله) المدرّس الذي قد اغتيل بأمر رضاخان، أرسل نداء من المستشفى: «قولوا لرضاخان: أنا حيٌّ». ومدرّس الآن لا زال حيا أيضا. رجال التاريخ أحياء حتى النهاية. يجب أن يعلم أهل السوء أن هاشمي حي لأن الثورة حية.. أبارك للسيد هاشمي، الإبن البار للإسلام، الذي تقدّم في طريق الهدف إلى قرب الشهادة، وأطلب من الله تعالى دوام سلامته واستمرار خدمته».**(319)

4. التوصية بالشكر

كان الإمام الخميني(قده) يقدّرّ بشكل دائم معاناة الأمة وموظفي الدولة. كما كان يطلب من الآخرين أيضاً أن يقتدوا بهذه الخصلة الحميدة وأن يثمنوا أعمال بعضهم البعض الحسنة: «**من اللازم أن**

أذكر بما يعرفه الجميع، ذاك هو لزوم تقدير شهداء الثورة وعوائلهم، والمعوَّقين والمحرومين. ومن اللازم أن تقومَ جميع الأجهزة الإجرائية (بتنفيذ) الأمور المتعلقة بالشهداء والمعوَّقين والمجروحين بالسرعة الكاملة، وأن توفر التسهيلات الضرورية لهم، حيث (أن) لهم حقاً كبيراً جداً علينا وعلى (هذه) الأمة الشريفة».(320)

ولم ينس كذلك أن يوصي بهذا العمل المحمود إلهياً وإنسانياً في وصيته، وقال بشأن ذلك: «**أوصي المجلس والحكومة وكل المعنيين أن اعرفوا قدر هذا الشعب ولا تقصِّروا في خدمته، خصوصاً المستضعفين والمحرومين والمضطهدين الذين هم نور عيوننا وأولياء نعمنا جميعاً، والجمهورية الإسلامية (هي) إنجازهم وقد تحققت بتضحياتهم وبقاؤها مرهون لخدماتهم، واعتبروا أنفسكم من الناس والناس منكم**».(321)

15

مـداراة الـنـاس

الناس هم الركن الأساسي لكل مجتمعٍ وحكومة، وهم الذين يؤدون الدور الرئيسي أيضاً، فتعاون الناس ورغبتهم المشتركة ودعمهم للحكومة يوطد أركانها. وعلى العكس من ذلك، فإن عدم رضاهم وتعاونهم يزلزل هذه الأركان.

بناءً على هذا، تعدُّ مداراة الناس السياسة الرئيسية لقادة الأمم الحقيقيين، وكذا التواصل الحقيقي معهم ورفع مشكلاتهم، والبرمجة الصحيحة والمتجذرة بهدف تحسين حياتهم المادية والمعنوية.

والقرآن المجيد يذكر ميزتين لعموم الأنبياء الإلهيين: «النصح» و «الأمانة»[322]، وهم بامتلاكهم لهاتين الميزتين يتعاملون مع الناس بطريقة صادقة، يخاطبونهم بالكلام الصادر من قلوبهم ويسمعون منهم مثل ذلك، وكانوا رفاقهم في السراء والضراء، وشركاءهم في الحزن والفرح، ولم يميزوا أنفسهم - سوى بالرسالة الإلهية - أبداً، ولم يروا لأنفسهم ما يفصلهم عن الناس، بل انصرفوا إلى إدارة حياة الناس وتنظيمها بعطفٍ ومودة، وأتعبوا ذواتهم لأجل رفاه الناس وراحتهم وتقدمهم المادي والمعنوي؛ ومثلما يقول القرآن المجيد بشأن هذه الخصيصة للنبي الأكرم ﷺ: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾.[323]

وبدون شك، كـان الإمـام الخـمـيني قـدس سـره، قـد ورث هكذا خصلة محمودة من جدّه، وأقام ارتباطاً عميقاً مع أمته وكل عشاق الإسـلام والثـورة، سيـدوم لسنوات طويلة. ومـا تقـرؤونـه أدناه، هو جانب من مداراة ذلك الإمام العزيز للناس:

1. قيادة القلوب

قبل فتح المدن والبلدان، يُسخِّر القادة الإلهيون القلوب ويرفعون راية حكومتهم خفاقة في وطن العشق والمحبـة: وباني الجمهورية الإسـلاميـة في إيران كان كذلك. فـمنذ الأيام الأولى حـينمـا كـان ثائراً لوحـده يحمل لواء الهـداية وقيـادة الأمـة على عـاتقـه، وخطا إلى ميدان مواجـهة الطاغوت، أصبحَ مـحبوبَ القلوب. وكلما كان يتقدم على هذا الطريق، كان يطوي طريق النفوذ في القلوب أكثر. وحـتى في سنوات الإبعـاد والبـعـد عن الوطن، كـان يتسلط بشكل معـجـز على اختيار مـلايين القلوب ويقودها. فـالناس كـانو ينزلون إلى الشـوارع بندائه ويشكلون تظاهـرات مليـونيـة، ويتـعـبؤون ضـد الطاغـوت بـخطاب واحـد منه ترتجفُ له أركـان حكومـة هـذا الطاغوت. وعلى أثر الإنتصـار أيضـاً، كان عشق النـاس ومـحبتهم للإمـام يزدادان يومـاً بعد يوم، وكـانت نداءات الإمـام البـاعـثة على السكينة، وإرشـاداته النبوية ترسل مـلايين الشبـاب الصـالحين إلى الجبهات. حيث كان إسم الإمـام الخـمـيني ونداؤه وذكـره وصورته مبعث القوة فيها: وقد كان أحياناً يحلُّ أزمةَ البلد بجملةٍ واحدة.

يتحدث المهندس مير حسين موسوي عن وقت تصديه لرئاسة الحكومة قائلاً: «**مرَّ وقتٌ قلّت فيه المحاصيل الموضوعة في الأهراءات، في حين كانت البضائع والسفن قد تراكمت في عرض البحر، والجو السياسي للبلد كان صعباً أيضاً. في مثل هذه الأحوال والظروف، كان عدد من أصحاب شاحنات النقل يتحركون نحو الإضراب. حل الإمام الأزمة بكلمة واحدة. قال: "لماذا لا ترسلون أصحاب شاحنات النقل المؤمنين" هذه الكلمة الواحدة جعلت أصحاب ناقلات الشحن المؤمنين والذين كان لهم دور مهم على طول الجبهة يُشكَرون عليه يتوافدون بحماس باتجاه الساحل، حيث حُلت مشكلة الحكومة بشكل كامل**».[324]

ويمكن أن يشاهدَ نموذج آخر للنفوذ إلى القلوب في قضية «سلمان رشدي» حيث عبّأ الإمام بشكل لا يُصدَّق جميع الشعوب الإسلامية وحتى حكوماتها - التي كان بعضٌ منها يُكنُّ عداءً قديماً للإمام والجمهورية الإسلامية - ضد الهجوم الثقافي للغرب، فضلاً عن شعب إيران، ومقلديه، ومؤيدي الثورة الإسلامية، وأظهر أنّ الدولة المعنوية تتجاوز الحدود والحصون الحديدية، وتنفذ إلى عمق القلوب وتدفعها نحو التحرك. ويصف كاتب غربي وقع بدوره أيضاً تحت تأثير النفوذ المعنوي للإمام الراحل، لحظة دخول الإمام إلى حسينية جماران، فيقول: «**عندما فُتح الباب في وجهه، أحسستُ أن طوفانا من الطاقة قد دخل. طوفان أرجف كل جزيئة في المبنى، وجلب الإنتباه بشكل صار**

باعثاً على عدم ظهور أي شيء آخر في مجال النظر. كان هالة من النور الذي نفذ في وجدان وباطن كل شخص في ذلك المكان.. هذا الرجل في الواقع كان أعجب شخص شاهدته طوال عمري على الإطلاق، واكثرهم استثنائية.. لقد نفذَ الإمام الخميني ودخل الى باطن قلبي ولبي بالشكل الذي أحبُ أن أسميه عشقاً».[325]

2. عشق الناس

يشكل عشق الناس بُعداً آخر من أبعاد مداراة الإمام للناس، فقد كان يحبُّ الأمة بتمام وجوده، وأوقفَ نفسه لها، وسخر كل ما كان في وسعه في سبيل مصالحها القومية.

كان الإمام يعتبر نفسه مديناً للناس، وينظر لهم كأولياء نعمته، ويعرّف نفسه بعنوان خادم. وبتعبير قائد الثورة المعظَّم ـ حضرة آية الله العظمى الخامنئي: **«تلك الإرادة القديرة، والتي أين منها الجبال العظيمة، كانت على الدوام تطأطىء الرأس تعظيماً أمام تضحيات الشعب وشجاعته وإحساساته الصادقة؛ لقد كانت تلك الروح العظيمة وذلك الجبل الصلد يهتزان ويرتجفان مراراً أمام عظمة الناس».**[326]

ويرسم حجةُ الإسلام أنصاري صورة عشق الإمام ومحبته للناس بقوله: **«ليست محبة الإمام للناس محبة عادية، فهي عشق. الإمام واقعاً يذوب احتراقاً لأجل الناس، ويتمنى على الدوام السعادة لهم، تماماً مثل الأب الرحيم لأبنائه. لقد بكى الإمام لمرات عدة**

أمـام التلفزيون الذي كـان يعـرض لمشاهد الفـقـر والحرمـان للنـاس، وخلال إقـامـتـه في قم كـان يلتـقـي بالناس طوال أيام، لمدةٍ تـتـجـاوز الست ساعات (يومياً)، ولم يكن يُظهر التعب أبداً. وكان يوصي في لقـاءاتـه مع المسـؤولـين أنه يجب علـيكم أن تكونوا خـدامـاً للنـاس، ويحـذِّرُ أعـضـاء مكتـبـه من أن يُسـيئـوا المعاملة مع الـنـاس لا سـمح الله..».(327)

ويقـول حجـة الإسـلام واعظ طبسـي: «**في سنة 42 هـ.ش، بعـدمـا انتــقـل الإمــام إلـى منـزلـه من ســجـن الشــاه، ذهبتُ مـع عــدد من الأساتذة لزيارته بعنوان ممثلٍ لحوزة مشهد العلمـيـة، كي نُعلنَ عن ولائنـا.. فتحـدثـت مـع الإمـام لمدة 35 دقيـقـة، أوضحـت لـه خلالـهـا مـا جـرى في حــادثـة 15 خــرداد، ولحــوالي 20 دقــيــقــة كــان الإمــام يبكي**».(328)

هكـذا ينبـض قلـب الإمــام الـرحــيـم لأجل النـاس، حــيـث لم يكن يتـحـّمل أدنـى ألم يـصـيـبـهم، ولـم يكن يـسـمح (فـي المـقـابـل) أن يقـع الناس في أي عناءٍ لأجله، حتى ولـو كان ذلك إبعـاد النـاس لإفسـاح الطريق أمـامـه. يقـول حـجـة الإسـلام نـاصـري حـول هـذا المـوضـوع: «**حـينمـا كنـا نذهب إلى الحـرم (في الـنـجـف)، لم يكن الإمـام يـسـمح أن نبـعـدَ جـانبـاً ولـو شـخـصـاً واحـداً، ومـن كـانـوا يـرافـقـون الـسـيـد لم يكونوا يجـرؤون علـى الإتـيـان بمـثـل هـذا الـعـمـل. أذكـر في لـيـلـةِ عـيـدٍ، أن الحـرمَ كـان شـديـد الإزدحـام، ولأجل أن لا يـحـصـلَ تـدافـع بـاتـجـاه الإمـام، مـددت يدي لـلأمـام حـتـى أُبـعـدَ أي شـخـصٍ (يـنـدفـع)، لكن**

الإمـام مـدَّ يده وأنزل يدي. وكذلك إن كنا نشـيـر إلى شـخصٍ كي يعطي الإمام مكانه، كان الإمام يستاء».[329]

وإن كانت حادثة تصيب الناس، كان يضطرب بشدة ويسعى كي يمنع حدوثها ثانية، ويجبُرَ الماضي؛ وفي زمن الإقامة في قم، كانت لقاءات الإمام العامة تعقد في المدرسة الفيضية. في أحد الأيام، وعلى أثر ازدحام الحضور، جُرح عدة اشخاص تحت الأيدي والأرجل، كما توفي شخص آخر. استاء الإمام واضطرب بشدة جراء سماعه بهذه الحادثة، حيث قال: «لن أذهب إلى الفيضية بعد الآن».[330]

3. مواساة الناس

يقول أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «**إن الله تعالى فرض على أئمة الحق أن يقدِّروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيَّغ بالفقير فقره**».[331]

من الواضح أن الإمام الراحل ـ رحمة الله عليه ـ كان قد دوَّن هذا القول الحكيم على لوح حياته، حيث كان يحيا دائماً بمستوى الناس. فمسكنه ومأكله وملبسه ومصروفه الشخصي كان دائماً بمستوى الحد الوسط لحياة المجتمع. لم يؤْسَرْ أبداً لزخارف الدنيا وبهارجها، ولم يُستعبد لزينتها ومناصبها. وبساطة العيش هذه كانت سكناً لقلوب المحرومين. وحينما كانوا يرون الحسينية التي هي مكان لقائهم بقائدهم لم تُطلَ بطلاءٍ حتى. وأنه ليس في

بيت الإمام ما يشير إلى الإسراف والتبذير. واللذان يحدثان في كثير من منازل علية القوم. كانت الحياة تسهلُ عليهم، وينسون الألم والحرمان.

وعلى مثل هذه الحال، كان ذلك القائد الحكيم يخفف آلام المحرومين بقدر ما كانت يده تطال، وعمدة كلامه مع المسؤولين التنفيذيين كانت الإهتمام بحال أولئك. وهو نفسه لم يقفل الباب أبداً في وجه الناس، ولم يردّ أي انسان خائباً. يقول أحد رفاق الإمام في النجف الأشرف: «**في إحدى الليالي، جاء فقير إلى بيت الإمام لعرض حاجته، إلاّ أن بعض الأخوة لم يقابله بطريقة لائقة! الإمام. الذي كان يراقب عن بعد. اعترض بشدة وقال: «دعوه يأتي، فهو محتاج وقد دفعته حاجته كي يأتي إلى هنا. فإما أن نقضي حاجته وإما أن نرضيه بالقول. لا تنهروا الناس». وقد قال مراراً بشأن هذا الأمر: «كل شخص يأتي، لا بدّ أن له حاجة، ولعل السبيل إلى حل عقدته ومشكلته يتوفر هنا: لعلنا لا نمتلك قدراً من الإمكانات كي نقضي جميع حاجات الناس، لكننا مكلفون أن ننهج في مقابلتهم اسلوباً لا يؤدي بالحد الأدنى إلى الإساءة إليهم».**[332]

«**لأنهم كانوا يأتون (إلى النجف) بالأخبار المتلاحقة أن شعب ايران يتعرض للتعذيب في السجون، لم يكن الإمام حاضراً أن يذهب إلى الكوفة ولو ساعة من نهار كي يستفيد من طقسها، بل كان يقضي الصيف في نفس ذلك الجو الحار، وفي منزل يفتقر حتى إلى وسائل التبريد العادية».**[333]

وحينما كان يبسط سفرة قلبه للناس بكلمات تنبعث من روحه، كان يواسي الناس وكالشمعة المحترقة يُسليّهم: «**أتوجه بالكلام إلى جميع الأعزاء الذين قد فقدوا بيوتهم وأكواخهم وفلذات أكبادهم في هذه الحوادث وفي ميدان المواجهة، إنكم يقيناً تدركون شعور مواساة خادمكم وأبيكم الشيخ هذا، حيث أعتبر خراب بيوتكم خراباً لبيتي، وشهادة أعزائكم وأبنائكم وجراحاتهم، شهادة أبنائي وجراحاتهم، وأنا معكم، وأوصيكم بالصبر والمقاومة**».[334]

4. حفظ الناس في ميدان المواجهة

كان الإمام الخميني قدس سره عالماً تمام العلم بهذه الحقيقة. وهي أنه بحضور الناس في الساحة، فستمضي الثورة الإسلامية في طريقها، وستستحكم اسس النظام الإسلامي. ولهذا السبب، وبدراية لا تقبل الوصف، كان دائماً يمنحُ الأمة شخصية مستقلة ويصفها بأنها صاحبة الثورة الحقيقية، ويقوي حس المسؤولية في نفوس أفراد هذه الأمة حتى يتربوا على الحضور الدائم بشكل مبادر في جميع الساحات. ويدافعوا عن الثورة والنظام. وللمثال: في الأشهر الأولى لسنة 1360هـ.ش، وبسبب الائتلاف المشؤوم للجبهة القومية تحت زعامة بني صدر والمنافقين، كان المجتمع قد ابتلي بالاضطراب والفلتان الأمني، واتجه نحو استهداف الحكومة الإسلامية الفتية التي كانت مُحاطة بالتهديدات والأزمات. أعلنت الجبهة القومية عن مسيرات في يوم الخامس

والعشـرين من خرداد لأجل إدانة «قانون القصاص»* كما أصدرت مؤسسة المنافقين بياناً عسكرياً في نفس ذلك اليوم و... في مثل هكذا وضع، خطب إمام الأمة في يوم الخامس والعشرين من خرداد، وبكلمات مثل «لا حول ولا قوة إلا بالله» و «سعدى ازدست دوستان فرياد! أي (صرخ سعدي من يد الأصدقاء)»، أنزل سيل الناس إلى الشوارع وأخمدَ أنفاس مكيدة الشؤم تلك في مهدها. وقال في بيان مهم صدر في نفس تلك الأيام: «**إن حضوركم أيها الناس الأعزاء والمسلمون في الساحة هو الذي يُبطل مكائد الظالمين وأصحاب الدسائس في التاريخ. إن حضوركم في الساحة هو الذي يلقي اليأس والعجز في قلوب المنافقين وحلفائهم الأذلاء. إن حضوركم أيها الناس الشجعان والمؤمنون هو الذي سيمنح الحاكمية لخط الإسلام الأصيل في إيران، وإن شاء الله في العالم. إن حضوركم أيها الناس المؤمنون والمتفانون هو الذي يفضح «المتنورين» من أتباع الغرب والشرق! إن حضوركم في الساحة قد سحق - ويسحق - كل «أنا» وكل «الإنيات» الشيطانية، واستبدل - ويستبدل - ذلك (بكلمة) «نحن» و «الأخوة الإسلامية»...**».(335)

وبعد أن ينبّه إلى الآثار الهامة للحضور في الساحة، يطلب من الناس بكلمات جد حميمة ومُحبة وصادقة وغير مخادعة، أن لا يُخلوا أبداً ساحات الثورة والنظام وأن لا يدعوا المسؤولين عنهما لوحدهم: «**أحبائي الأعزاء! انتبهوا كثيراً وكونوا أذكياء، وتواجدوا**

في الساحة بيقظة وهدوء تام، لكن بكل قوة. فبدونكم لا يستطيع أي شخص أن يفعل شيئاً، ومعكم سيُطاح بكل أعداء الرسول الأكرم والأئمة الأطهار.. الخميني يُقبل يدكم فرداً فرداً، ويُجلّكم فرداً فرداً، ويعتبر كل فردٍ منكم قائده، حيث قلت مرات عدة أنني كأحدكم، ولست قائداً!..».(336)

وطوال سنوات عمره المبارك أيضاً، وضمن التأكيد على جميع انجازات الشعب (نراه) يطلب من المسؤولين أن يحترموا آراء الشعب وأن يشركوه في جميع الأعمال: «**من دون أن يشارك هذا الشعب، نحن لا نستطيع أن نعمل، فكل ما لدينا هو منه. وكل ما هو موجود فهو له: الحكومة خادمة له. القوة القضائية خادمة له. القوة الإجرائية خادمة له. القوة المقننة (مجلس الشورى) خادمة له. يجب أن يؤدوا التكليف وأن يشركوا الناس في جميع الأمور**».(337)

16

احترام أهل الفضل

لقد مُنح الناس مواهبَ إلهية، بالخصوص تلك التكوينية منها، بنحو متساوٍ. غير أن الدنيا وبحكم كونها مهداً لتكامل ابن آدم، فإن البعض وبشكل طبيعي وقطعي يسبق البعض الآخر، ويرتفع فوقهم في سلم الكمال، ويمتلك فضائل أكثر ويُظهر لياقة أتم. وهذه الظاهرة موجودة حتى بين الأنبياء أيضاً، بالرغم من أن أولئك الطاهرين يتجاورون من الجهة الروحية والعقلية في مراتب متقاربة. يقول القرآن الكريم بشأن هذا الموضوع: ﴿**ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض..**﴾.[338]

وهذا هو مسلك العقلاء أيضاً، حيث يُقدِّمون أصحاب الفضائل ونُخَبَ الأمة على الآخرين ويرون لهم ميزة عليهم. وهذا الأمر بارز بوضوح في أحكام الإسلام وقوانينه ولا سيما في المسائل الأخلاقية؛ ويقول القرآن الكريم بشأن العلماء أيضاً: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾.[339]

وقد أوردوا في سيرة النبي ﷺ كذلك أنه كان يكرم مجاهدي معركة بدرٍ كثيراً، إلى الحد الذي إن دخل أحدهم فيه إلى مجلسٍ ولم يكن فيه مكان ليجلس، كان النبي يأمر الآخرين أن يعطوا أماكنهم «للبدريين».[340]

منهج الإمام الخميني(قده)

كان الإمام الراحل رحمة الله عليه، عملاً بهذا المنهج العقلي والشرعي، يرى لأهل الفضائل قيمة خاصة، تضاف إلى الاحترام الوفير الذي كان يُكنه لعموم الناس. وكان يكرم ويقدرُ كل فرد أو جماعة ممن لهم شأن خاص، أحياءً كانوا أم أمواتاً. وفيما يلي نبيّن شيئاً من هذه المكرمة لدى الإمام الراحل بحق مراجع التقليد والعلماء والشهداء والمجاهدين:

1. الإحترام الخاص لمراجع التقليد

الفقهاء الحافظون لدينهم والمتقون هم حصون الإسلام المنيعة، وورثة الأنبياء ونواب إمام الزمان عليه السلام. ومثل هذه الأوصاف كافية أن تضعهم في أرفع درجات العزة، والاحترام الخاص والعام.

كان الإمام الراحل يُكنُّ احتراماً عظيماً وعميقاً للمرجعية، ويثني على المراجع بأفضل صورة، ويدافع عنهم: «**وصل خبرٌ إلى الإمام خلال وجوده في النجف أنّ نظامَ بغداد ينوي استدعاء آية الله الشاهرودي (المرجع الكبير للشيعة) إلى بغداد ومحاكمته. بعد اطمئنان الإمام إلى صحة الخبر، استدعاني وأمرني أن أذهبَ إلى كربلاء ليلاً، وأن أنقلَ أموراً حول عظمة شخصية آية الله الشاهرودي إلى محافظ كربلاء. فذهبتُ ليلاً إلى منزل المحافظ ونُقلتْ له أوامرَ الإمام دون نقيصة أو زيادة، فأجابَ: حسناً، سأتولى حلّ المسألة. وبعد يومين أُنهيت المحنة**».[341]

ويقول آية الله السبحاني حول هذا الموضوع: «**على أثر وفاة آية الله الحائري (اليزدي، مؤسس الحوزة العلمية) لم يذهب (الإمام) لحضور درس أي شخص، وانشغل بالتدريس.. ولسنوات، كان يشارك في بحث مشترك كان قد عُقِد بواسطة المرحوم آية الله الصدر وآية الله الزنجاني، وكان يقول: "يوماً، وخلال المباحثة، ظهر نوع من الحدة بيني وبين المرحوم آية الله الزنجاني. وبسبب كبر سنّ، وعظمة المرحوم الزنجاني، قبّلت يده."**».(342)

وكان يقول بشأن مؤسس الحوزة العلمية: «**يكفي في عظمته أنه استطاع في ذلك الزمن الصعب الذي كان رضا شاه قد صمم فيه أن يدمر الحوزات والعلماء، أن يحفظ الحوزات بل العلماء وقد أوصل إلينا هذه الأمانة حتى نوصلها بدورنا إلى الآخرين**».(343)

ومراراً مدح آية الله البروجردي قائلاً: «**إنها لعلامة على الكرامة (عند الله) أن يدير شيخ عجوز الحوزة العلمية بل عالم التشيع بهذا النحو الجيد**».(344)

وبعنوان كونه مرجعاً صاحب إفتاء، كان الإمام يَعدُّ احترام المراجع واجباً. ينقل حجة الإسلام مِهري: «**بعد ارتحال آية الله الحكيم، ذهبت لأجل تقديم العزاء للإمام، وكانت تلك الليلة هي ليلة عيد الغدير. قبّلتُ يد الإمام، وقلت: هذه الليلة هي ليلة عيد الغدير وأنتم لم تعلقوا الزينة ولم تخرجوا للزيارات؟ فقال: «أتعلمون من قد فقدنا؟ نحن قد فقدنا آية الله الحكيم. أفلا يجب أن نحفظ احترام هذه الشخصية حتى لسنة واحدة؟ أفينا**

فرح وسرور؟ وهل يجب أن يغمرنا السرور بعد رحيل السيد الحكيم.. إنه لواجب على الجميع أن يحترموا هذا العظيم».[345]

2. تقدير العلماء

يقعُ العلماء الحكماء مورداً للعناية الإلهية الخاصة، وتنشرُ الملائكة أجنحتها عليهم.[346] وإن حياة كل أمة ورفعَتها مرتبطتان بعلمائها، واحترام العلماء أرفعُ قيمة من العلم نفسه. وقد كان الإمام الخميني يُحبُّ العلماء الأصيلين ويُجلُّهم كثيراً. يقول آية الله بهاء الديني بشأن هذا الأمر: «**منذ البداية وإلى الوقت الذي جاء فيه إلى جماران، كان الإمام خادماً للعلماء.. وله سابقة طويلة في احترام العلماء وإجلالهم؛ ولم يكن شخص قادراً أن يهين العلماء (في محضره). وأنا كنتُ شاهداً بنفسي طوال ستين سنة على أن الإمام كان يطرد من المدرسة الفيضية كل شخصٍ يتجرأ على إهانتهم**».[247]

تتعرض الدروس الحوزوية، بالخصوص المستويات العالية منها، لنقد آراء الآخرين وهي محلٌ لتبادل آراء المجتهدين. وكلما كان الإمام الراحل يريد أن ينقل مطلباً لعالم، كان يأتي على ذكره باحترام. وإن لم يكن موافقاً على ذلك الرأي، كان يردُّ عليه باحترام خاص، ولم يكن يتوانى عن استخدام كلمة «المرحوم» و «رضوان الله عليه» بحق صاحبه.[348]

لم يكن ذلك الإمام العزيز ليوجه أية إساءة أو إهانة إلى العلماء

أبداً، بل كـان يغـضبُ من ذلك بشـدة، ويهبُّ للدفـاع عنهم. ينقل حجـة الإسـلام توسلي: «**أطلعـوا الإمـامَ أن الملا صدرا قـد أُهين في مـجلس درس أحـد المحـقـقين. نهى الإمـام بعـصبـيـة لكن مـلؤها النصيحة عن التجرؤ على عظماء الدين، وقال: «وما أدراك ما الملا صدرا؟! إن المسـائل التـي كـان قـد بقي أبو علـي سـينا عـاجـزاً عن حَلِّها، قد حلَّها الملا صدرا، فلم لسنا نراقبُ ألسنتنا؟!»**.(349)

إن إجلال العلماء الشهداء من أمثال المطهري، مفتِّح، بهشتي، باهنر، مدني، صدوقي، أشرفي، دستغيب، مدرّس، سعيدي.. بالإضافة إلى مقام الشهادة الرفيع، كان تعظيماً للعلماء الأصيلين الذين اختبروا علومَهم في ميدان العمل، وعملوا كما العلماء، وأدوا رسالتهم العلمية.

مثل هكذا احترام كان يمضي أبعدَ ليطال من هم خارج دائرة علماء الدين فيشمل أصحاب الإختصاصات في البلد الإسلامي أيضاً. كيف لا، ونيل الاستقلال الحقيقي دون وجودهم أمر يلامس حدّ الأسطورة. ولذا، لم يكن الإمام العظيم ليدع الإهتمام بهم، وقـال: «**يجب على الحكومـات والمسـؤولين، إن في الجـيل الحـاضر أو في الأجـيـال القـادمـة أن يقـدروا مـتـخـصـصيـهم ويشـجـعـوهم على العـمل بالمسـاعدة المادية والمعنوية. وأن يَحُولوا دون استيراد البضائع الاستهلاكية المدمّرة ويتكيفوا مع الموجود عندهم إلى أن يصنعوا كل شيء**».(350)

3. إجلال الشهداء والمجاهدين

إن المقام السامي للشهيد لرفيعٌ إلى الدرجة التي يرزق فيها على أثر الشهادة، من المائدة الإلهية الخاصة، ويغنى في جوار ملكوته؛ وهي منزلة رفيعة ليست قابلة للوصف ولا للإحساس من قبل أهل هذا العالم؛ ووحده الله وأولياؤه المعصومون هم العارفون بها.

كان الإمام الخميني قدس سره يشعر بإحساس عارم تجاه شهداء الحرب والثورة العاليي المقام، وتجاه المجاهدين وعوائلهم المؤثِرة، وكان محباً لهم من صميم القلب، يأنس برؤية وجهوهم النورانية، يدعو لهم ويُجلُّهم بأسمى كلمات أهل العرفان؛ ويكتبُ في مقدمة كتاب حاوٍ لوصايا الشهداء: «**ما هو أمامكم، جُملٌ من وصايا عددٍ من شهداء الثورة الإسلامية، والتي بحق تُذكِّر الإنسان بشهداء صدر الإسلام. إنني لأخجلُ من أن أقيس نفسي بهؤلاء الأعزاء الممتلئين بالإيمان والعشق والفداء. لقد وصلوا بعشق الله العظيم إلى محبوبهم، ونحن إلى الآن لسنا حتى عند منعطف زقاق*! إلهي إقبل هؤلاء الأعزاء الفانين عن أنفسهم في جوار رحمتك، ونجنا من قيود وأغلال الإنية والأنانية**».[351]

ويوجه الخطاب إلى الأبناء الأعزاء للشهداء والأسرى والمفقودين والجرحى قائلاً: «.. **أنا أرسل إليكم السلام والتحية، وأباهي بوجودكم وأفتخر. وأي افتخار هو أرفع من أن يكون لدينا طوال مراحل ثورتنا ذخائر عظيمة من أمثالكم أيها الأعزاء، حيث أضحى حضورنا* في المجتمع وفي جميع الساحات الإسلامية**

والثورية والشعبية مذكراً بشجاعة أباةٍ وتضحياتهم وإخلاصهم، والذين ببركة دمائهم الطاهرة أينعت الثورة والجمهورية الإسلامية في إيران، والذين بشهادتهم وإيثارهم وجراحاتهم وأسرهم منذ الخامس عشر من خرداد وحتى الآن، قد خلدوا إسم المجد والحرية والشرف على هامة ثورتنا..».(252)

كذلك، كان إمامُ الشهداء يُمجّد في مناسبات متنوعة الشهداء البارزين، والذين كانوا يسرِّعون بدمائهم الطاهرة عجلة الثورة، بشكل فردي وجماعي؛ ومن جملة ذلك:

أ. في الذكرى السنوية لشهادة فيلسوفٍ وعالمِ الإسلام البارز في هذا القرن، آية الله المطهري، قال: «**إنها الذكرى السنوية لشهادة شهيد مُطهَّر قد أهدى على قِصَر عمره آثاراً خالدة، كانت شعاعاً من الوجدان الحي والروح الممتلئة عشقاً للدين. لقد انصرف بقلمٍ سيّال وفكرٍ قوي في تحليل المسائل الإسلامية وتوضيح الحقائق الفلسفية، إلى تعليم المجتمع وتربيته، مستخدماً لغة الناس، دون قلقٍ واضطراب. وإن جميع آثار قلمه ولسانه لهي بدون استثناء مربية ومحيية..».**(353)

ب. في بيان إجلال الشهيد العظيم آية الله الدكتور بهشتي، والاثنين وسبعين شخصاً من شهداء الحزب الجمهوري، قال: «**لقد فقد شعب إيران في هذه الفاجعة الكبيرة اثنين وسبعين شخصاً بريئاً بعدد شهداء كربلاء. إن شعب ايران مرفوع الرأس لأنه يُقدِّم**

إلى المجتمع رجالاً كانوا قد وقفوا أنفسهم لخدمة الإسلام والمسلمين.. ولأفترض أنكم كنتم تعادون الشهيد بهشتي الذي عاش مظلوما ومات مظلوماً، وكان شوكة في عيون أعداء الإسلام وخصوصا أنتم. فأية عداوة كانت لديكم مع أكثر من سبعين بريئاً، حيث كان أكثرهم من أفضل خدام الناس، ومن المخالفين الأشداء لأعداء البلد والشعب؟..».[354]

ج. كانت سنة 1360 هـ. ش سنة مليئة بالحوادث. وسنة التفجيرات والاغتيالات في تاريخ الثورة الإسلامية. وقد استشهد خلالها الشخصيات العظيمة والقيّمة لإيران الإسلام الواحد تلو الآخر. على يد المنافقين عُمي القلوب والبائعين لأنفسهم. حيث كانوا يُحزنون قلب الإمام والأمة. وكان الإمام الراحل بقلبٍ مليء بالغم والحزن. وفي إطار تعزيته للأمة، يُجل المقام الشامخ لأُولئك الشهداء ذوي المعدن الأصيل، في نداءاته البليغة والقيّمة.

الشهيد الغالي آية الله مدني كان من جملة تلك النخبة، والذي استشهد في محراب صلاة الجمعة في تبريز. وقد قال الإمام في نداءٍ بهذه المناسبة: «**لقد وقفت الأمة العظيمة والعلماء المعظمون مثل صف مرصوص، حتى إذا ما سقطت الراية من اليد المقتدرة لقائد، تلقفها قائد آخر ليرفعها وينزل بها إلى الميدان، ولينهضَ بقدرة أكثر سعياً وراء حفظ الراية الإسلامية. لقد عزلَ الشهيد مدني بشهادته المظلومة، أعداء الثورة، والمنافقين أعداءِ الإسلام، بشكل كلّي. لقد أمضى هذا الوجه النورانيَ الإسلامي عمراً في**

تهذيب النفس، وخدمة الإسلام وتربية المسلمين، والمجاهدة في طريق الحق ضد الباطل. وكان من الوجوه التي يقلُّ نظيرها، والتي حازت على نصيب وافر من العلم والعمل والتقوى والإلتزام والزهد وتهذيب النفس..».(355)

د. لقد أودت ملحمة السنوات الثماني للدفاع المقدس بجميع شرائح الشعب إلى التوحد الكامل الذي لا سابقة له. تحت قيادة الإمام. حيث كانت قلوب الجميع تنبض لأجل الجبهة. وتوجهت العيون والآذان في ذلك الإتجاه. وكل من كان يستطيع. كان يشارك في الجبهة. وأولئك الذين لم تكن لهم القدرة على ذلك. كانوا يجهدون في دعم الحرب وإيصال المدد إلى المجاهدين. لقد كان أهل الظفر في جيش الإسلام يصنعون كل يوم ملحمةً. ولم يتوانوا عن أي نوعٍ من أنواع التضحية والإيثار. ومن عدادِ هؤلاء. برز أبناء التعبئة البواسل ـ بالخصوص الشباب والفتيان منهم ـ حيث صنعوا أحياناً ملاحمَ خالدةٍ لا نظير لها. ولعمق نظرته وارتباطه اللصيق بأفراد الشعب، كان إمام الأمة يُجلهم ويمجدهم بمنتهى الإخلاص والعطف. وقد تحدث بما يلي في النداء الذي أصدره بمناسبة الذكرى السنوية الثانية لانتصار الثورة: «.. **ليس إنصافاً أن يضحي شباب الإسلام الأعزاء، بدءً من أفراد الجيش والحرس والدرك والتعبئة والشرطة، وصولاً إلى الجرحى من أبناء العشائر وأعزاء المدن والقرى في أنحاء البلد، بدمائهم وأرواحهم، بينما نجلس نحن جانباً ونوجه سهام الأذى بأقلامنا وألسنتنا إلى قلوبهم**

النورانية.. لقد كانت جميع أنواع التعب والعناء والجراحات، منذ أوائل الثورة وحتى الآن، تقع على أكتاف هذه الطبقات، ولذا فهم أولياء نعمتنا.

إن قائدنا هو ذلك الطفل* ابن الاثنتي عشرة سنة الذي رمى بقلبه الصغير - والذي تُعدُّ قيمته أعظم بمئات المرات من ألسنتنا وأقلامنا - وبعبوته تحت دبابة العدو فحطمها، وروّى نفسه بشربة الشهادة..». (356)

17

العطف

من الخصائص الهامة للقيادة، والتي يعدها القرآن الكريم من الصفات البارزة للرسول الأكرم ﷺ، هي لطف القائد ورحمته ورأفته بالأمة، حيث قد بُيّنت ذروة هذه الصفة في هذه الآية الشريفة: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾.[357]

وفي آية أخرى تعتبر نفسُ هذه الخصلة سبباً لميل الناس وارتباطهم بالإسلام، وللوفاء للقيادة: ﴿**فبما رحمة من الله لنتَ لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم..**﴾.[358]

وبنظرة أخرى إلى هاتين الآيتين، يمكن أن يُشاهد جيداً الإرتباط المتبادل بين «الإمام» و «الأمة»، (أو ما يمكن أن يسمى) «قيادة القلوب»، والتي تتحقق فقط بشكل لا نظير له في «القيادة الدينية». والتاريخ لا يذكر وجود رابطة نظير الرابطة بين النبي ﷺ وأمة الإسلام، وسوف لن يُرى مثلُها أبداً.

عروة بن مسعود ـ مبعوث مشركي قريش في صلح الحديبية ـ شاهدَ على أثر اللقاء والمفاوضة مع قائد الإسلام، أن أصحابه ﷺ لا يتركونه يريق كثيراً من ماء وضوئه على الأرض، بل يتلقفونه ويتبركون به! ولهذا قال حينما رجع إلى قريش: «**لقد رأيت بطانة كسرى وقيصر والنجاشي وشوكتهم، ولكني أقسم بالله**

أنني ما رأيت ملكاً كمحمدٍ عزيزاً ومحبوباً في أصحابه، وإن قومه لن يستبدلوا به شيئاً آخر».

الإمام الخميني: القائد الرحيم

كان إمام الأمة قدس سره قد ورث الرأفة والرحمة، فضلاً عن القيادة، من جدِّه ـ رسول الله ﷺ ـ وكان ارتباطه وتعلقه بالناس عاطفياً جداً، حيث كانت «الأمة» و «الإمام» يحبان بعضهما البعض من صميم القلب، بل كانوا يعشقون بعضهم البعض.

يقول آية الله إمامي كاشاني بشأن هذا الأمر: «**النقطة التي يجب أن ألفتَ النظر إليها هي العواطف العامة للإمام، والتي لعل الكثيرين لبعدهم عن الإمام لم يلتفتوا لها، إلاّ أن أولئك الذين عرفوه عن قرب اطلعوا على هذه الحقيقة.. واقعاً، إن حضرة الإمام في عين القاطعية التي هو عليها، رحيمٌ ورؤوفٌ إلى درجة عالية**».(359)

ويقول كذلك حجة الإسلام رحيميان: «**خلال المعاشرة والصحبة، كنتَ تقعُ على وجهٍ للإمام تموجُ فيه المحبة واللطف والحنو، وينمحي وجود الإنسان بالنظر إليه. لقد كان شمساً تذيب القلوب الجامدة، وبحراً تغرق في أمواجه أفواج من القلوب..**».(360)

وفيما يلي نُبيِّن بعضاً من رحمة الإمام وشعاعاً من تلك الشمس الملقية بدفئها على:

1. الشهيد وعائلته

بدون مبالغة، لقد بكى ذلك القائد الحكيم من قلبه وعينه دماً في عزاء الشهداء الخالدين، بمحضرٍ من جميع عوائل الشهداء، كيف لا وقد كان يعتبرهم أبناءه - وهم كانوا كذلك - ولذا، فكل سهم كان يسقط على مجاهد كان يجرح بدن الإمام، ومع كل شهيد كان يضرج بدمه، كان ثقل المسؤولية يزداد على كاهل الإمام. يقول سماحته بهذا الشأن: «**أنا عندما تقع عيني على بعض هؤلاء، ممن قد فقدوا أولادهم، يزداد الحمل على كتفي بحيث لا أستطيع أن أحتمله. أنا لا أستطيع أن أتنصل من مسؤولية هذه الخسارة التي قد أصيبت بها الأمة. أنا لا أستطيع شكر هذه الأمة التي قدمت كل ما لديها في طريق الله. يجب من الله تبارك وتعالى أن يشكر سعيها**».(361)

ويقول الابن الراحل لحضرة الإمام: «**أحياناً، يدفعُ طفلٌ أو أبٌ شهيد أو مشهدٌ ما الإمامَ للبكاء بحيث أن الإنسان ينسى أنه هو نفسه ذلك الشخص الذي يعطي الأوامر بالقتال وينادي بشجاعة أن قاتلوا، فإن قُتلتم أو قَتلتم فإلى الجنّة مآبكم**».(362)

كان عمق محبة الإمام وعشقه للشهداء الأعزاء، يظهر بشكل مضاعف عند مشاهدة صور الشهداء أو أبنائهم، بحيث كانت ملامح وجهه الملكوتي تتغير بوضوح: «**في الكثير من أوقات التوقيع على صور الشهداء، كانت آثار الغم والحزن البالغ تظهر على وجهه المبارك والرحيم. ومن جملة ذلك يومَ وضعتُ في يده المباركة**

صورة شهيد كان لم يبلغ الحلم بعدُ ليوقع عليها، فحدّق الإمام متحيّراً للحظات في الصورة.. وقال بصوت ملؤه الغم: «لا إله إلاّ الله»، ووقع على الصورة».[363]

«.. أحضروا طفلة لها من العمر ثلاث سنوات كان والدها قد فُقد أثره (في الحرب) وأبلغوا الإمام بذلك، فقال: الآن، أدخلوها فوراً، ومن ثمَّ أجلسها على ركبته ووضع خدّه المبارك على خدّ الطفلة ومسح على رأسها، وتحدث معها لفترة بهدوء إلى أن ضحكت تلك الطفلة الحزينة في حجره. علّق الإمام - الذي كان يحسُّ بالإنشراح - عقداً في عنق الفتاة، وعندما خرجت من عنده، لم تكن نفسها تسعها (من الفرح)!».[364]

2. الأصحاب

إن المهتدين من رفاق الدرب الذين كانوا يحترقون كما الفراشة حول شمعة وجود «القائد»، كانوا يتلمسون بشكل محسوس عواطف ذلك العارف الأوحد ومشاعره النبيلة والصافية، ويشعرون أكثر من الجميع بحرارة عشق ذلك الإمام. وإنَّ نفَسَ الأولياء هذا كان هو الذي جعلهم أقوياء ومجاهدين؛ وبكلام آية الله السبحاني: «**إن الإمام الخميني (قده)، الابنَ البار والصالح لأمير المؤمنين عليه السلام.. كان قد جمعَ في روحيته العميقة والمنشرحة عناصر متباعدة عن بعضها البعض؛ لقد كان مظهر العاطفة وفي نفس الوقت صاحب البأس والحكمة..**

في الوقت الذي كان فيه الإنسانَ المتفكرَ الوقورَ الذي تُسكت هيبته الحاضرين، لم يكن يغفل عن مجالس الأنس مع الأصدقاء، وكان يعتبر جلسة الأنس هذه أساساً لنوعٍ من المساعدة بهدف تنمية ذهنيتهم والرفع من استعداداتهم».(365)

ويقول حجة الإسلام ناصري أيضاً: «**إن إحدى الخصوصيات التي حازها الإمام هي العاطفة الجيّاشة. لقد كان عطوفاً إلى الدرجة التي لم يكن ليرتاح معها أبداً حينما كان أحدنا يدخل إلى السجن، أو عندما كانت تحصل أحداث في العراق (زمن النفي)، وكان يسأل دائماً عن وضعه طالما أن المشكلة لم تُحل».**(366)

3. الناس

لقد كان صدر الإمام متسعاً باتساع الإسلام، بمعنى أن محبةَ كلِّ مسلمٍ حقيقي مدافع عن القرآن في أقصى نقاط الأرض كانت قد استقرت في نفسه. كان رحيماً بالجميع، يعتبرُ حزنهم وفرحهم حزنه وسروره، وبحق كان أباً لجميع المسلمين الأحرار. يقول الأمام نفسهُ حول هذا الموضوع: «**إن آلامنا هي آلام هذه الأمة. إنني أتألم كثيراً عندما تخطر في بالي صورة أولئك الرجال الذين قُتل أبناؤهم. وأنا حينما أنظر إلى هذه الأم التي ترمي بنفسها في مواجهة ما يحدث وتقول: اقتلوني يا من قد قتلتم ولدي، فإن ذلك مما يبعث الألم في نفوسنا».**(367)

ويصف الشهيد محلاتي محبة الإمام للمستضعفين قائلاً: «**في أحد الأيام، عرضوا في مدرسة «الرفاه» فيلم «كاخ وكوخ» (القصر والكوخ)، حيث ظهرت (منطقة) حلبي آباد وسوء الحياة والمعيشة فيها. انقلب حال الإمام بشدة، فاستدعى الجميع: الشهيد بهشتي والشيخ هاشمي وأنا وآخرين وقال بعصبية شديدة: «يجب عليكم أن تبدلوا ثروة هذا الملك (الشاه) وأزلام النظام إلى بيت للمستضعفين**».[368]

كان ذلك العظيم يعشق هذا الشعب الذي شكل الأمة الإسلامية، ولم يكن ليحقد عليه أبداً، وباستثناء المستكبرين والمجرمين، فقد كان يعفو عن الجميع. يقول حجة الإسلام رحيميان: «**إن رسائل الأفراد الذين كانوا في موارد متعددة قد أوهنوا من شأن الإمام وأساؤوا إليه، ثم ندموا ورجوا من الإمام العفو والمغفرة، كان الإمام بدون استثناء. وفي جميع الموارد. يجيب عنها قائلاً: «أنا عفوتُ عنهم**».[369]

«**في الحقيقة، إن نفس هذه الأخلاق الكريمة والمعاملات المليئة بالمحبة والعظمة والتواضع في عين قدرة الإمام السياسية والإجتماعية، كانت هي التي دفعت جميع العلماء العظام المعمرين - وحتى المتحجرين من بينهم - إلى التسليم أمام عظمة تلك الحضرة**».[370]

البكاء جرى على الناس: كان إمام الأمة يقبع في السجن خلال أحداث فاجعة الخامس عشر من خرداد 1342 هـ.ش، ولم يكن لديه اطلاع دقيق على تفاصيل الوقائع، إلى أن تحرر من السجن

في الحادي عشر من شهر مُردَادْ من نفس تلك السنة، ووضع في طهران تحت المراقبة.

استفاد الناس والعلماء وأصحاب الإمام من هذه الفرصة، واجتمعوا للقاء بالقائد. وفي السياق وضعوه في صورة أحداث الخامس عشر من خرداد، وبعد رد الإمام على الإحساسات التي أظهرها الناس..

«**رجع إلى مكانه، لكنه لم يستطع أن يتمالك نفسه، فارخى العنان للطوفان الذي كان قد تنامى في داخله. صاح مرة واحدة: أنا ماذا أفعل بأحاسيس الناس هذه! وغطى وجهه بمنديل وغرق في البكاء.**

إلى ذلك اليوم، لم يكن أي شخص قد رأى الإمام الخميني باكياً.. لكن هذا القتل بلا رحمة من قبل الشاه في الخامس عشر من خرداد أنزل بالإمام ضربة ثقيلة وقاصمة».[371]

4. الأسرة

بالرغم من أن أمواج عطف الإمام ورحمته كانت تطوي المسافة إلى أبعد نقاط تواجد المسلمين في العالم، إلاّ أنّ نقطة البداية في ذلك هي محيط الأسرة والمنزل، وإن أهل بيت الإمام هم أول الأشخاص الذين يستفيدون من حرارة محبته؛ وبحق، يجب أن يُقال: إن الإمام هو المصداق البارز لهذا الحديث عن النبي ﷺ حيث قال: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**».[372]

يشير حجة الإسلام أنصاري إلى رحمة الإمام ومحبته لأسرته قائلاً: «**للإمام محبة عجيبة لزوجته وأبنائه وأحفاده وحتى لأقربائه. وإن مرض حتى أحد أعضاء مكتبه، يسأل الإمام فوراً عن حاله ويوصي بمعالجته ومداواته.. في أحد الأيام كان الحاج السيد أحمد قد ذهب إلى الإذاعة بهدف قراءة بيان (للإمام)، وكان الإمام يستمع إلى حديثه عبر المذياع. وقبلَ أن يقرأ البيان أشار بقوله إلى أن حالي ليس على ما يُرام اليوم.. فأرسل الإمام فوراً من يستفسر عن حالته، وسبب مرضه.. إنّ الإمام يعتبر أنّ (سلامة) محيط الأسرة واحترام الزوجة والأبناء هي جزء من (عوامل) سلامة المجتمع وسعادته، كما وأنّ المنزل هو (ميدان) الحصول على القدرة لتولي كل المسؤوليات وتنشئة الأبناء السالمين. أحياناً، كان أحفاد الإمام يأتون إلى قربه فيلعبون ويصرخون، ويركضون بهذا الإتجاه وذاك، لكن معاملة الإمام تظل في المقابل حميمة ورحيمة. وعند حلول ساعة العمل وانجاز المسؤوليات فهم غرباء بالنسبة إليه، وهم لا يقتربون منه كذلك**».[373]

* * *

إن الأمل في أن نكون من خلال التأسي بذلك الإمام الغالي - والذي قد تأسى هو بالأئمة المعصومين أيضاً - من أحباب الله الرحيم والرؤوف، إن شاء الله.

18

القاطعية والصلابة المنقطعة النظير

إن من خصائص المؤمنين الحقيقيين عدم المحاباة في إجراء الأوامر الإلهية، والحزم مع أعداء طريق الحق. ويشير القرآن الكريم إلى هذه الروحية بقوله: ﴿.. **يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم..**﴾.[374]

مثل هكذا أشخاص - والذين هم قلة في كل زمان - قد شخصوا طريق الحق ببصيرة نافذة ويسعون بتوكل عميق على ربهم في ترسيخه. ويتقدمون بعون الله نحو أهدافهم المقدّسة. وقد شبّه أمير المؤمنين صلوات الله عليه هؤلاء الرجال العظام بالصخرة الصلدة: يقول عليه السلام: «**المؤمن.. نفسُه أصلبُ من الصلد..**».[375]

صلابة الإمام الخميني

إن قائد الثورة الإسلامية العظيم الشأن، هو من الرجال المعدودين الذين مُلئوا صلابة، حيث وقف دوماً في مواجهة الإنحرافات والإعوجاجات كقمّة الجبل الشامخة، وقال «لا» في مقابل جميع طلاب المهادنة، ولم يَحِدْ بمقدار شعرة عن الطريق المستقيم الذي كان الله تعالى قد ألهمه إياه، ولم يكن لقساوة العدو ونفاق المنافقين وتبسُّم الأصدقاء من أثر في عينيه النافذتين، ولم يتوقف قلبه عن التوجه إلى الله تعالى. وفيما يلي نقرأ شيئاً عن قاطعية ذلك العزيز الراحل وصلابته:

1. في مواجهة الأعداء

يسعى أعداء الإسلام الأذلاء دوماً، وبشكل مستميت، كي يغسل المؤمنون أيديهم من الايمان، ويغرقوا في بحر الضلالة، غير أن الله يحذر عباده الصالحين من عاقبة هذا التفكير الشيطاني: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين**﴾.(376)

بالفراسة الحادة التي كان يملكها، كان الإمام الخميني(قده) حذراً دوماً من مخططات أعداء الإسلام. ومن قبل أن يحققوا أهدافهم المشؤومة كانوا يتلقون من الإمام الضربة تلو الضربة. ولم يقدروا على إحداث خللٍ في روحيته غير المهادنة أبداً. ويمكن تقسيم هؤلاء الحمقى أعداء الإسلام إلى أربع طوائف، حيث واجه الإمام كل طائفة منها بأسلوب خاص:

أ. النظام البهلوي

سعى الشاه وعملاؤه المأجورون منذ الأيام الأولى لنزول الإمام إلى ساحة المواجهة، إلى جره نحو المهادنة، ومنع من اشتعال فتيل الثورة على قاعدة وجوب معالجة الواقعة قبل حدوثها. ولكن كلما سعوا أكثر في هذا الطريق حصدوا نتيجة معكوسة، وألفَوا القائد الكبير للثورة الإسلامية أكثر قاطعية، وللمثال:

اعتقل الشاه الإمام في ليلة الخامس عشر من خرداد لعام 42 هـ.ش، وسجنه حتى الثاني عشر من مرداد من نفس تلك السنة. وعلى أثر الجناية المتوحشة في الخامس عشر من خرداد، ظنّ

بشكل أبله أنه قد دفع القائد والأمة نحو المهادنة والتراجع. وأطلق الإمام ظاهرياً من السجن في الثاني عشر من مرداد سعياً وراء هذا الوهم الساذج، وصرح في بيان قائلاً: «**بناء على المعلومات الرسمية التي وصلت من الأجهزة الأمنية بأنه قد حصل تفاهم بين المسؤولين العسكريين والسادة الخميني.. بأن لا يتدخلوا في الأمور السياسية، ولأنه قد حصل الإطمئنان بشكل كامل. على ضوء هذا التفاهم، إلى أنهم لن يقوموا بأي عمل ضد مصالح البلد. فقد. نقل السادة إلى منازل خاصة**».[377]

بعد ذلك وضع الإمام تحت المراقبة حتى تاريخ الثامن عشر من فروردين* لسنة 1343 هـ.ش. في القيطرية في طهران. حيث تحرر في ليلة ذلك اليوم وانتقل إلى قم. وفي ذلك اليوم نفسه كتبوا في جريدة «اطلاعات» أن تفاهماً قد حصل بين الحكومة والعلماء، وأنهم ـ والمراد هو الإمام ـ موافقون على «الثورة البيضاء» للشاه. لكن حضرة الإمام أجاب عن هذه الثرثرة والهذيان في الخطاب الذي ألقاه يوم الجمعة في الحادي والعشرين من فروردين سنة 43 هـ.ش. فقال: « .. **لقد أعطوني جريدة «اطلاعات» الصادرة يوم الثلاثاء في الثامن عشر من فروردين عام 43 هـ.ش، وأنا عاتب لأنهم لم يعطوني إياها أبكر من ذلك. في هذه الجريدة القذرة - اطلاعات كتبوا مقالة في الافتتاحية تحت عنوان «الاتحاد المقدس» ذكروا فيها أنهم قد تفاهموا مع العلماء وأن هؤلاء موافقون على «الثورة البيضاء» للملك**

والشعب! أية ثورة وأية أمّة؟! إنّ هذه الثورة (البيضاء) ليست مرتبطة بالعلماء والناس!.. ولو أنهم يشنقون الخميني فسوف لن يهادن».[378]

بسبب روحية الإمام الشجاعة والصامدة، أدرك نظام الشاه استحالة أن يتغاضى الإمام أو يتراجع خطوة إلى الوراء عن سياساته ـ ولو بدفعٍ من النظام نفسه ـ الأمر الذي جعله لا يحتمل وجود ذلك القائد الحكيم أكثر من سبعة أشهر. وفي سَحَر الثالث عشر من آبان سنة 43 هـ.ش، قام بإبعاده إلى خارج ايران بكل وقاحة وظلم، وقال السافاك في بيانٍ أصدره: «طبقاً للمعلومات الموثقة والشواهد والدلائل الكافية، ولأنّه قد شُخِّص أن رؤية السيد الخميني والتحركات المشار إليها (آنفاً) هي ضد منافع الشعب وأمن البلد واستقلاله وسلامة أراضيه، فقد أبعد عن إيران بتاريخ 13 آبان 1343 هـ.ش».[379]

من جانب آخر، تحمل الإمام ما يزيد على أربعة عشر سنة من النفي والإبعاد عن الشعب والوطن، في تركيا والعراق، لكنه لم يتخاذل أبداً في مواجهة الشاه الخائن حتى رجع في النهاية إلى الوطن في شهر بهمن سنة 57 هـ. ش، شامخ الرأس منتصراً، في الوقت الذي كان الشاه قد فرّ من إيران ذليلاً باكياً. وبعد مضي عشرة أيام أرسى قواعد الحكومة على أرض الثورة، وخفقت راية النصر بثبات وصلابة.

ب. الاستكبار العالمي

كان باني الجمهورية الإسـلامية يعلم جيداً أن الاستكبار العالمي، فضلاً عن نظام الشـاه، على تضاد مع الثورة الإسلامية، وأنّه بقدر مـا يسـتطيع، يعـمدُ إلى تنفيـذ سيـاسـاته عن طريق عمـلائه المأجورين من أمثال الشـاه، وأنه في حـال تخاذل هؤلاء العـمـلاء، فسوف يعمد بنفسه مباشرة إلى تنفيذ مراده. ولذا كان الإمام قد صمم بشكل قـاطع أن يقفَ أيضـاً فـي وجـه جـمـيع التـحـركات الاستكبارية، وأن لا يهادن المستكبرين أبداً. يقول «بقيـةُ الإمام» سـمـاحـة حـجـة الإسلام السيد أحـمـد الخميني(قده) بشـأن هذا الموضوع: "**كان الإمام يتحسس من كل ما يمت إلى الغرب والشرق بصلة، ولمرات عدة كان يقول: «إن أمورهم، حتى الحسنة منها، هي سيئة أيضاً، ويجب أن نسعى كي نتولى زمام أمورنا بأنفسنا في جميع المجالات لأن أمورهم الحسنة هذه التي يجلبونها، تروج لهم بنفس ميزان الحُسْن ذاك». وكان الإمام مُصِراً، على أننا لسنا أقل منهم في أي شيء من أمورنا وأنه يجب أن نعتمد على أنفسنا وأن نقف على أقدامنا**".(380)

ويقول أحد أصحاب الإمام: «**عندما كان الإمام في فرنسا، حضر أحد الموفدين (فرنسي الجنسية) من قبل الأمريكيين، برفقة إحدى شخصيات وزارة الخارجية الفرنسية للقاء الإمام، وذلك على أثر تولي شاهپور بختيار (لمنصب رئاسة الحكومة)، وقال بلحن حاد: لقد سكتنا حتى الآن على ما أقدمتم عليه ضد الشاه،**

ولكن إن كنتم تريدون أيضاً أن تقوموا في وجه شاهپور بختيار، فبالتأكيد سوف نُقدم على عملٍ خلافاً للسابق! قام الإمام من مكانه دون اكتراث، وقال بلهجة قاطعة: أنا حتى الآن لم أُقدم على عملٍ ضد الأمريكيين المتواجدين في إيران، فلا تقوموا بأي عملٍ يدفعني لاتخاذ موقف فتصبح أرواح الأمريكيين في خطر!».[381]

وعلى ضوء سياسة عدم المهادنة هذه، أيّد الإمامُ العمل الثوري «للطلاب السائرين على نهج الإمام» في اقتحام الوكر الجاسوسي الأمريكي (السفارة)، وسمى ذلك بالثورة الثانية، وأفهمَ العالم بعمله هذا أن الثورة الإسلامية هي من المخالفين الأشداء للاستكبار العالمي، وعلى رأسهم أمريكا ناهبة العالم.

وواصل الإمام حزمه في مواجهة امريكا حيث أعلنَ أنه ليس لشخص الحق في أن يُفاوض الممثلين الأمريكيين الذين كانوا قد أُرسلوا إلى ايران لأجل التفاوض بشأن الجواسيس. وبقدر ما كان في الإمكان، حقّر بهذه الوسيلة عينها، أمريكا المغرورة، وقلل من سطوتها واعتبارها العالميين.

وفي القصة السيئة الذكر لسلمان رشدي المرتد، سعى الغرب الملحد ايضاً في أن يُحقِّرَ المسلمين بإهانة مقدسات الإسلام، ويُرهبَ الثورة الإسلامية، إلاّ أنّ الإمام المتيقظ والبعيد النظر، ومن موقعه كقائد للعالم الإسلامي، جعلهم بفتواه التاريخية يندمون إلى الأبد على اللجوء إلى هذه الألاعيب الماكرة، وثبتَ أن الخميني ـ بطل الإسلام الذي لا يُقهر ـ هو محطم أصنام العصر.

وعلى أثر الإطلاع على محتوى كتاب رشدي المرتد، أعلنَ موقفه

التـالي: «أبلغ المسلمين الغيارى في جميع أنحاء العالم أن مؤلف كتاب «الآيات الشيطانية» والذي قد أُعدَّ ونُشر ضد الإسلام والنبي والقرآن، وكذلك الناشرين المطلعين على محتواه، هم محكومون بالإعدام. وأريد من المسلمين الغيارى، في أية نقطة تواجدوا فيها، أن ينفذوا حكم الإعدام بحقهم سريعاً كي لا يتجرأ مجدداً أي شخص أن يهين مقدسات المسلمين. وإن كل شخص يُقتل في هذا الطريق، هو شهيد إن شاء الله».(382)

وفي بيان البراءة الأخير كتب ما يلي: «**إنني أعلن بحزم أمام كل الدنيا أنه إن أراد ناهبو العالم الوقوف في وجه ديننا فسوف نقف في وجه كل دنياهم، ولن نقعد قبل أن نأتي على آخرهم؛ فإما أن نتحرر، وإما أن نصل إلى حرية أكبر، ألا وهي الشهادة».**(383)

2. في مواجهة المنحرفين

أ. **الليبيراليون:** منذ بدء الثورة وحتى إلى السنوات التي عقبت الانتصار، كان القوميون يسعون أن يعدّلوا ـ حسب ادعائهم ـ الأفكار الثورية للإمام العزيز، وأن يحملوه أفكارهم الليبيرالية ويعبدوا طريق مهادنة القوى العالمية. غير أن الإمام لم يرضخ لضغوطهم أبداً، ولم يتراجع عن الإسلام المحمدي الأصيل قيد أنملة، وقال في مواجهة الضغوطات السياسية وكل الراغبين في الصلح الذين كانوا يعزفون لحن المهادنة: «**أنا أقول بصراحة: إن كان القوميون يريدون بسهولة أن يمدوا في المشكلات والصعوبات**

والمنعطفات الضيقة يد الذلة والمهادنة للعدو، وأن يكسروا كل كؤوس الصبر والمقاومة دفعة واحدة بغرض أن يحرروا أنفسهم من الضغوطات السياسية اليومية، وأن يتنصلوا من جميع مواثيقهم وتعهداتهم القومية والوطنية، فلا يتصورن أحدٌ أننا لا نعلم الطريق إلى مهادنة ناهبي العالم! ولكن هيهات أن يخون خُدام الإسلام أمتهم.. إن الأمر الذي ليس له وجود في طينة العلماء هو المهادنة والإستسلام في المواجهة مع الكفر والشرك، ولو فصلوا عظامنا مفصلاً مفصلاً، وعلقوا رؤوسنا على المشانق، وأحرقونا أحياءً في النار، وإن يأسروا ويغيروا على نسائنا وأبنائنا وأموالنا أمام أعيننا، فلن نوقع أبداً على أمانِ الكفر والشرك!».[384]

وفي الفترة التي أرسى فيها الليبيراليون تحت قيادة بني صدر بناء الشيطنة وعمدوا إلى إضعاف الثورة، قال الإمام بحزم:

«.. يجب أن يعلم الجميع هذا: في ذلك اليوم الذي أحسُ فيه بالخطر على الجمهورية الإسلامية، وفي ذلك اليوم الذي أحسُ فيه بالخطر على الإسلام، لن يكون ذلك اليوم هو اليوم الذي سأجلس فيه مجدداً وأنصح، بل سوف أقطع يد الجميع».[385]

وفي اليوم الذي تلا صدور البيان، أبعدَ بني صدر عن قيادة القوات المسلحة.[386]

وفي النهاية قال: **«.. أعلن بصراحة: طالما أنا موجود فلن أسمح أن تقع الحكومة في يد الليبيراليين».**[387]

ب. **المنافقون:** سعى تيار النفاق أيضاً، بكل ما يمكنه من قدرة،

أن يوجد لنفسه مواطىء قدم في جوار الإمام، أو - كما في الإصطلاح - أن يخترق شخصية الإمام، لكنه كُلما سعى في هذا الإتجاه حصدَ نتيجة معكوسة؛ وفي نهاية المطاف، دخل في مواجهة عسكرية مع النظام الإسلامي في شهر خرداد من عام 60 هـ.ش، وأقدمَ على اعتداءات مسلحة ضد الجمهورية الإسلامية.

وكان إمام الأمة قد أوضح خلال سنوات ما قبل الإنتصار أفكارهم المنحرفة. وبالرغم من أنّ شخصية مثل المرحوم آية الله الطالقاني كانت تحميهم، وتصرُّ أن يدعمهم الإمام ايضاً[388]. ردَّ أيديهم إلى نحورهم ولم يدعهم يصبغون الجمهورية الإسلامية بأفكارهم الإلتقاطية، وجعلَ هذا الفخر من نصيبه، حيث يقول الشهيد المطهري: «**لقد اشتبهنا جميعاً إلاّ الإمام!**».[389]

وأعلنَ: «**طالما أنا موجود، سوف لن أسمح للمنافقين أن يزيلوا إسلامَ هذا الشعب الأعزل. طالما أنا موجود فلن أعدل عن أصل «لا شرقية ولا غربية». طالما أنا موجود، فسوف أقطع يد عملاء أمريكا والإتحاد السوفياتي في جميع المجالات**».[390]

3. في مواجهة المتحجرين

كان يتواجد في وسط قوى المسلمين أيضاً أفراد من الذين يحاربون بتحجرٍ أفكار الإمام الثورية، ويسعون كي يجروه من علياء أفكاره نحو الأسفل ويجعلوه في صفهم. لكن ذلك العارف الرباني تابعَ السير في طريق الله بقدرة وحزم، وأحياناً وحيداً بلا معين،

وأزال كل مانعٍ من أمام الطريق، حتى يوصل الثورة الاسلامية إلى النصر. ويشير باني الجمهورية الإسلامية إلى المتقدسين والمتحجرين، وإخلالاتهم فيقول: « .. **لقد كان طريق الحلّ فقط هو الجهاد والإيثار والدم - والذي هيأ الله سبيله - ففتح العلماء الملتزمون الصدر لاستقبال كل سهم مسموم كان يُطلق على الإسلام، وحضروا في مذبح العشق. لقد ارتسمَ أول وأهم فصلٍ دام في المواجهة، في عاشوراء الخامس عشر من خرداد. ولم تكن المواجهة في الخامس عشر من خرداد عام 42 هـ.ش، مع طلقات بنادق الشاه ورشاشاته - ولو كانت كذلك فقط لسهُلت المواجهة - بل بالإضافة إلى ذلك، كانت طلقات الحيلة والتقدّس والتحجر تنطلق من جبهة الداخل، طلقاتُ أذى اللسان والنفاق والإزدواجية التي كانت تحرق وتمزق الكبد والروح ألفَ مرة أكثر من البارود والرصاص.. وفي الحقيقة، كانت الطبقة العلمائية الأصيلة تبكي دماً في الوحدة والأسر، كيف أن أمريكا وخادمها پهلوي، يريدون أن يقتلعوا جذور التدين والإسلام، في حين أن عدداً من العلماء المتقدسين الجهلة أو المخدوعين، وعدداً من الخدم المرتبطين، الذين انكشفت وجوههم بعد الانتصار، كانوا يعبّدون مسيرة هذه الخيانة العظمى**».[391]

لم يُحنِ الإمام رأس المهادنة أمامَ أحدٍ سوى الله، وكان يمضي بعزمه إلى النهاية، مصدقاً بذلك قوله تعالى: ﴿**فإذا عزمتَ فتوكل على الله**﴾[392]، وكان يقول: «**أنا لست من أولئك الذين إن أصدرتُ**

حكماً أجلسُ وأغفو، بل أتحرك سعياً وراء تنفيذه. ولو رأيت في أحد الأوقات، لا سمح الله، أن مصلحة الإسلام تقتضي أن أتكلم، فسوف أتكلم وأتابع ما قلت، وبحمد الله تعالى لا أخاف من أي شيء. واللهِ لم أخف حتى الآن!».[393]

واستخدمَ الإمام الراحل قاطعيته لآخر مرة في موضوع خليفة الولي الفقيه، وبالرغم من الجو الإجتماعي ـ السياسي لذلك اليوم، أزاحه بجرأة وصلابة، ورفع المشكلة الأكبر للثورة. وننهي هذا البحث بجملتين من كلام الإمام العزيز حول هذا الموضوع:

«.. **إن التوصية بهذا الموضوع ليست لازمة، وهو أنّ الدفاع عن الإسلام والنظام ليس أمراً قابلاً للمزاح، وفي حالة تعدّي أي شخص، في أي منصب كان، فسوف يفضح أمام الشعب فوراً**».[394]

ويقول أيضاً: «**لقد أعلنتُ لمرات عدة أنني لم أعقد عقد أخوة مع أي شخص كان، وإن أساس صداقتي منطوٍ في صحة طريق كل فرد..**».[395]

* * *

والأمل في أن نكون نحن حازمين وغير مهادنين ايضاً في متابعة تحقيق أهداف ذلك الإمام العزيز تحت قيادة حضرة آية اللّٰه العظمى الخامنئي.

19

الإحتياط في الصرف من بيـــت المـــــال

للأمور المالية دور هام في الحياة الفردية والإجتماعية للإنسان، ويمكن القول إنها تؤثر في حسن عيشه أو عسره.

ومن الممكن أن تكون الأموال التي تقعُ مورداً لاستفادة الانسان، أموالاً خاصة أو عامة، حيث يجب أن يدقق في كلا القسمين حتى لا يُعمل بها بخلاف مراد الشرع والعقل. وفي هذا الوسط، تحظى الأموال العامة وبيت المال بأهمية أكبر.

في هذا البحث نوضح جانباً من دقة الإمام الراحل(قده) فيما يتعلق بحفظ بيت المال وكيفية صرف أمواله. فالإمام العظيم كان يدقق دائماً، وبشدة، في كيفية صرف الأموال العامة وحفظها، والتي كانت قد وضعت تحت تصرفه عن طريق المرجعية أو القيادة، ويسعى أن يقدِّم إرادة الله على إرادته في العائدات والنفقات المالية، الشخصية والعامة. فالإمام كان يعتبر، على ضوء الفكر القرآني، أن المال والثروة وسيلة اختبار إلهي، ويجهدُ حتى يخرج من هذا الامتحان مرفوع الرأس.

1. الاقتداء بالنبي ﷺ وعلي عليه السلام

إن السلوك الصائب والأصيل للنبي وعلي عليهما السلام على صعيد الأمور المالية، لهُو من أرفع المفاخر في تاريخ الأديان الإلهية. فهم، لم يتصرفوا في بيت المال تصرفاً شخصياً يزيد عن

الحق الذي كان قد عُيِّنَ لهم شرعاً، ولم يتعاملوا أبداً مع الثروات العامة على غرار القادة غير الإلهيين، كمال جلبته الرياح لتصرفه الزوابع على رغباتهم. فقد كان يتفق أحياناً أن لا يأكلوا في بيت الرسول الأكرم ﷺ إلاّ خبز الشعير فقط،[396] ولم يكن ذلك العظيم ﷺ يعطي الإذن لأحد من أفراد جيشه المقاتل في استخدام الخيط والإبرة من بيت المال دون وجه حق.[397] وأمير المؤمنين صلوات الله عليه، أحرق بالحديدة المحمّاة يد أخيه، حتى يُخرج من رأسه هوسَ مد اليد إلى بيت المال.[398]

أرسى الإمام الخميني دعائم الحكومة الإسلامية على أسس الإسلام ورؤية قادته المعصومين عليهم السلام، حيث كان يتخذهم قدوة في جميع المجالات.. ومن جملتها الصرف من بيت المال. وخلال عرضه لكلام أمير المؤمنين عليه السلام: «**أدقّوا أقلامكم..**»[399] في محضر جمعٍ من رؤساء القوى الثلاث وقادة البلد، قال(قده): «**.. إن هذا لأمر متوجه على طول التاريخ للأشخاص المتولين شأن الحكومة، بأن لا يصرفوا من بيت المال ما أمكن ذلك. فعلى الدرهم الواحد منه حسابٌ يوم القيامة، ويجب أن نقدِّمَ الحساب. سيكون من الواجب أن نقدِّم الحساب على كل ما نعمله من أعمالٍ، والتصرفات التي نُقدم عليها بشأن بيت المال. لماذا؟ لأن تجاوزاً قد وقع. لوجود المجازاة والعدالة، ولوجود مجازاة الخير. اعتبروا بيت المال امراً عظيماً. يجب على الحكومات الإسلامية أن لا تصرف أموال بيت مال المسلمين لإظهار جلالتها وجبروتها، وإن كان لا بدَّ أن يُصرفَ شيء من بيت مال المسلمين، فهو على المسلمين**».[400]

2. الإنفاق في حدود الضرورة

كان الإنفاق في بيت الإمام يتمّ دائماً في حدود الحاجات الضرورية و«.. **لم يكن للإسراف والتبذير.. وبسط اليد بلا روية - والتي كانت موجودة في أمكنة أخرى وجود في بيت الإمام...**».(401)

ولهذا كانت جميع حاجيات البيت الضرورية، من الطعام والملبس والأثاث وسبل التنقل وغيرها، تهيّء بأمر من الإمام، بأقل صرفٍ وبالشكل البسيط.

يقول حجة الإسلام قرهي: «**في أحد الأيام أحضرنا خياطا إلى الإمام مع عدد من أنواع القماش، لكي يختار إحداها لصنع ثوب له، فاختار نوعاً غير مرغوب من القماش! فقد كان لباس الإمام دائماً نظيفا ومرتباً، لكنه كان يدقق كثيراً في النوع وكيفية الصنع كي لا يكون فاخراً**».(402)

وينقل ايضاً: «**في مدينة النجف، أراد الإمام في أحد الأيام أن يتوجه إلى المنزل، فقال لي: إذهب وأحضر عربة (خيل) ولا تحضر سيارة! ولم تكن العربات هناك نظيفة ومرتبة كثيراً. صدقوا أنني أنا نفسي كنت اخجل من ركوبها، إلاّ أنّ الإمام بقدر ما كان يستطيع، سعى لكي تكون استفادته من سهم الإمام** عليه السلام **بأقل نسبة**».

قال لي الأخ مشهدي حسين ـ الذي كان يعمل في بيت الإمام: «**ذهبتُ يوماً واشتريت دجاجاً، وأحضرته إلى المنزل. وعندما**

رجعت سأل الإمام: ما الذي اشتريته؟ قلت: دجاجاً. فقال فوراً: إذهب واعطه (لفقير أو محتاج)».[403]

ويقول حجة الإسلام خاتم اليزدي أيضاً: «**حينما كان الإمام الخميني في النَجف، كان يُوحِّدُ بين الطعام الذي يأكله وبين طعام الأشخاص الذين يعملون معه ويحيطون به. وينقل أحد العاملين في بيت الإمام أنه في أحد أشهر رمضان، تواجد عدد (كبير نسبياً) من الأشخاص في المنزل، فقال لي أحد أعضاء البيت: عدد الأشخاص كثير. فاشتر مقدارا أكبر من اللحم، ففعلت ذلك. وفي المساء عندما قدَمت للإمام كشفا بحساب النفقات، سأل: لماذا أعددت لحما أكثر من السابق؟ قلتُ: فلانٌ أمر بذلك! قال: من الآن فصاعدا حضر نفس الكمية من اللحم التي كنت تعدها سابقا. وإن لم يوافق فلان فليفصل طعامه عن طعامنا!».**[404]

كذلك، كان الإمام يجتنب كل أنواع النفقات غير الضرورية، ومظاهر الزينة في المنزل بشكل كامل. يقول أحدٌ أفراد بيت الإمام (زوجته على ما يبدو): «**كان أثاث الغرفة المخصصة للإستقبال في بيت الإمام ناقصاً، فقلتُ: إئذنوا بتجهيز هذا الجزء الخالي بالأثاث. قال الإمام: يوجد أثاث داخل البيت. قلتُ: هذا النوع من الأثاث ليس مناسباً للإستقبال. فقال: أهو بيتُ الصدر الأعظم؟! فقلتُ: بل أكثر، إنه بيت إمام الزمان. قال الإمام: ليس معلوماً أي نوعٍ من الأثاث قد وضعه إمام الزمان في بيته أيضاً!».**[405]

3. البذل في سبيل الله

كان موقف الإمام الخميني فيما يتعلق بالإنفاقات العامة والثورية يختلف عن موقفه بالنسبة إلى الإنفاقات الشخصية بشكل أساسي. أي أنَّ الإمام لم يكن يتشدد في هذا المجال، بل كان يأذن بالصرف بيدٍ مفتوحة وقلبٍ سخي. وبتعبير حجة الإسلام (المرحوم) السيد أحمد الخميني: «**نفس هذا الشخص الذي لأجل شراء مروحة كهربائية في النجف يصرخ عالياً «لا ترسلوني إلى جهنم»، هو نفسه الذي يأذن بصرف سهم الإمام بالكامل لأجل الإطاحة بالشاه.**

نفس هذا الشخص الذي لا يأذن لزوجة ابنه الشهيد أن تجري اتصالاً بإيران.. هو نفسه الذي يذهب إلى باريس ويرفع على كتفيه علمَ الدين في فرنسا».(406)

ونموذج آخر: «**على أثر استشهاد آية الله السعيدي، أقام طلاب النجف مجلس فاتحة لأربعين ليلة بهدف تعظيمه. وكانت نفقات مثل هذه المجالس باهظة بالنسبة إلى الطلاب الذين كانوا يحصلون على مبالغ شهرية قليلة. وبالاضافة إلى أنه شارك في هذا المجلس كل ليلة، قال الإمام الخميني: "أنا أعطي نفقات مجلس الفاتحة"**».(407)

وبالإلتفات إلى أن الإمام كان قد تولى مسؤولية قيادة العالم الإسلامي، فمن الواضح ملياً أن هذا النوع من النفقات لم ينحصر

بإيران أو العراق، بل حيثما كانت مصالح الإسلام تقتضي الإنفاق فالإمام كان ينفق المال.

يقول حجة الإسلام دعائي حول هذا الأمر: «**كان الإمام أول شخصية من شخصيات عالم الإسلام التي أجازت أن تُمنح المساعدات من الأموال الشرعية للمقاتلين الفلسطينيين. وقد كان لهذه الفتوى في وقتها صدىً واسعاً في إيران، والمجاهدون الإيرانيون كانوا حاضرين لإجابة هذا النداء بحماسة وثورية**».[408]

وفي هذا السبيل، لم يكن الإمام يتضايق من الانفاق الجانبي والتشريفات لأجل جلب انتباه الناس إلى الإسلام. وللمثال: أصدر الإمام في قرية «نوفل لوشاتو» في ضواحي باريس نداءً إلى مسيحيي العالم بمناسبة ليلة ولادة حضرة المسيح عليه السلام، وأمرَ أن تُرسل إلى الجيران هدايا مرفقة بباقات ورد.[409]

4. التحكم بأوضاع الحواشي

تتجاوز حواشي الشخصيات أحياناً حدود الصلاحيات الموضوعة، وبحكم موقعيتها تسيء الإستفادة من بيت المال.. ولكن في بيت محطم أصنام العصر - سواء في محيط المرجعية أو القيادة - لم يعطَ أي شخص مثل هكذا فرصة، منذ البداية وحتى النهاية. ومنذ البدء، عمدَ باني الجمهورية الإسلامية إلى تفويض أفرادٍ متقين وصالحين وذوي رأفة للقيام بالأعمال داخل بيته،

حتى يعالج الواقعة قبل وقوعها، وينجز الأعمال طبقاً لرأي الإسلام، وبشكل صحيح؛ بل حتى أنه كان ينصح الآخرين بأن يحذوا حذوه: « .. **ولأجل أن لا تتكرر الاشتباهات السابقة، أنصحكم أن تُطهروا بيتكم من الأشخاص غير الصالحين..**».(410)

ولم تنحصر إدارة الإمام الصحيحة والجادة في جميع الأمور ـ ومنها المسائل المالية ـ بالعاملين أو بأفرادٍ بعينهم، بل كانت تطال عائلته وأبناءه. يقول حجة الإسلام ناصري: «**كان يجب على المرحوم الحاج السيد مصطفى، والذي كان فرداً بلا نظير، أن يحضرَ أسبوعاً بأسبوع بين يدي الإمام ليحصل على نفقاته الأسبوعية، ولم يكن الإمام ليسدد له، بأي وجه من الوجوه، نفقات إضافية..**».(411)

ويكتب إمام الأمة في مستند خالد ما يلي للأجيال القادمة:

« .. **في النهاية، أقولُ ايضاً أن (أحمد) حتى الآن لم يصرف ديناراً واحداً من بيت المال في نفقاته، وأنني أُديرُ له معاشه من مالي الشخصي**».(412)

ويقول حجة الإسلام أنصاري: «**على الدوام، كان بين يدي الإمام مبالغ مالية كثيرة من الوجوه الشرعية، لكنه كان يستخدم دقة عجيبة جداً في صرفها. ولمرات عديدة، كان حضرة الإمام يشدد في إبلاغ أفراد المكتب أنني لست راضياً أن تستفيدوا من هواتف المكتب لأجل الأمور الشخصية**».(413)

5. الرقابة والتدقيق

كانت رقابة الإمام على الانفاقات الصغيرة والكبيرة، تشكل الحلقة المكملة لإدارته، حيث كانت تشمل أقربَ الأفراد وأبعدهم. يقول حجة الإسلام قرهي حول هذا الموضوع: «**كنت مكلَفاً في النجف أن أدوِن كل مبلغ أنفقه، وأن أقدِّم كشف حساب بذلك إلى الإمام، مرةً كل عدة أيام. وفي أحد الأيام قال لي الحاج السيد مصطفى: ثياب المستخدم الذي يُعدُّ الشاي ممزقة، فأمِّن أنت له قميصاً. ففعلت ذلك. وبعد عدة أيام حينما قدمت كشف الانفاقات للإمام، قال: أنتَ لا تحتاط! لماذا لم تتداول معي بشأن القميص؟ فقلتُ: السيد مصطفى أمرَ بذلك. قال الإمام: أنا من يجب أن يقول**».[414]

ويقول هو أيضاً: «**استأجرنا في أحد الأيام سيارة لمدة ساعة كي نذهب برفقة الإمام إلى تشييع جنازة أحد العظماء. ثمن الاستئجار كان ديناراً واحداً (عشرون توماناً). وبعد يومين أو ثلاثة قدمت للإمام كشف حساب بالإنفاقات، فقال بحدّة: لماذا لا تحتاط؟ دفعت ديناراً لاستئجار السيارة؟ قلت: فعلتُ ذلك حتى لا تتعطلوا، جنابكم. فقال: كلا! أنا مثل الآخرين، فلم فعلت ذلك؟**».[415]

20

النظم والإنضباط

مَثلُ «النظم» و «التقوى» كمثل جناحين قيّمين، يعينان المؤمن على طي مسيرة تكامله. وقد أوصى أمير المؤمنين عليه السلام بهما في وصيته لجميع أبنائه وأتباعه؛ يقول: «**أوصيكما وجميع ولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم**».(416)

وفي حديث آخر، عرّف القرآنَ بعنوان كونه منظماً للحياة؛ يقول عليه السلام: «**ألا إن فيه علمَ ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظمَ ما بينكم**».(417)

طبّق الإمام الراحل رحمة الله عليه «التقوى» و «النظم» و«الآيات القرآنية» في وقت واحد في حياته، وكأن عمره الثمين قد مُزج لحظة بلحظة بظواهر الجمال تلك. فتقواه، كانت العمل بآيات القرآن، ونظمه ملازماً للتقوى، وتلاوته للقرآن وتطبيقه لآياته منظماً ومدروساً. وقد أوردنا فيما سبق كلاماً عن تقوى ذلك الحكيم الفذّ، وفي هذا البحث سنُطل على نظمه وانضباطه في البعدين الفكري والعملي.

1. النظم الفكري

تمتع الإمام الخميني بأرفع درجات النظم الفكري، وطوال حياته الحافلة بالفوائد، لم يبتل أبداً بأدنى تزلزل فكري وعقائدي. ومن ضمن حيازته للأصول الثابتة والقطعية لدين الإسلام في أبعاده

المختلفة، أصر دائماً على تطبيق هذه الأصول، ولم يشك أو يتردد في طريقه أبداً، هذا الطريق الذي كان الصراط الإلهي المستقيم.

إن الدقة في برامج الإمام وأحاديثه، من بداية هذه المسألة وحتى نهايتها، تجعل من المسلَّم به أنه قد سار على منهج واحدٍ ومحسوب في الحياة، مقتفياً أثره على الدوام.

كان حضرة الإمام معتقداً بضرورة النظم الفكري، وقد قال بهذا الشأن: « **نحن إن نظّمنا في الحياة سلوكنا وحركاتنا، فبالطبع ينتظم فكرنا أيضاً. وعندما ينتظم الفكر، يقيناً سوف يُتمتع بذلك النظم الفكري الإلهي أيضاً** ».[418]

بدون شك، قد تمتع الإمام بهذا النظم الفكري الإلهي، بالنحو الذي لم يشاهد معه الاضطراب والتشويش في برنامجه وعمله مطلقاً، طوال مرحلة الثورة وسنوات ما بعد الإنتصار. ويمكن القول بجرأة أن هذا النظم قد كان من أهم أسباب موفقيته على الإطلاق، في كافة أبعاد الحياة.

يقول أحد تلامذة الإمام: « **إن إحدى خصائص حضرة الإمام. والتي تعدُ مفيدة بالخصوص لأهل العلم (وأتباع الإمام). هي أنه كان ينجز جميع الأمور وفق نظم معين؛ حيث كان قد خصص أوقات الصلاة للصلاة، وأوقات الزيارة للزيارة، ونظّم ورتّب جميع أوقاته الشريفة لأجل (القيام) بأعمال الليل والنهار، وكان هذا مفيداً لنا جداً. وطالما أن الإنسان لم يصر منظماً في أموره، فلن يستطيع أن ينجز أي عملٍ. وليس من الميسر في المطلق لأي إنسان**

أن يتمكن من تنظيم حياته وبرنامجه بهذا الشكل، بل إنّ الله كان قد تفضّل عليه ووفقه».[419]

ونذكر ايضاً أن الإمام كان يلغي على الدوام كل لقاءاته العادية مع مطلع عشرة المحرم ومطلع شهر رمضان، وينصرف في هذه الأيام للقيام بآداب خاصة؛ ولم يتوقف هكذا برنامج حتى في أحلك أوقات الدسائس الداخلية والخارجية، حيث ثبت أن القائد الكبير للثورة الإسلامية كمثل الجبل رسوخاً وعزماً. يقول الإمام الباقر عليه السلام: «**المؤمن أصلب من الجبل..**».[420]

ومن الممكن إدراك ثبات الإمام ونظمه الفكري بشكل أفضل في أعقاب الحوادث المفجعة، مثل شهادة الحاج السيد مصطفى، السابع من شهر تير، الثامن من شهر شهريور.. إلخ. يقول أحد أصحاب الإمام بشأن الحادثة الأولى: «**كان أعزّ انسان على الاطلاق وأقربَ فردٍ إلى الامام، هو ابنه المرحوم آية الله الحاج السيد مصطفى. فبالإضافة إلى أنه كان ابن الإمام، كان الصاحب في الجهاد، والمؤنس في الغربة، والمؤيد الفكري على صعيد الحركة الثورية، وأحياناً المباحث في المسائل العلمية؛ وكخلاصة، كان للإمام سنداً كبيراً جداً.**

كان الإمام يرى فيه أملاً للمستقبل، ومثلُ هكذا ابنٍ سلب من الإمام في الوقت الذي كان فيه بحاجة إلى وجوده أكثر من الجميع. لكننا نجد أن ذلك لا يُغير ذرة في البرامج والمسائل التي كان متولياً لها».[421]

2. في ميدان العمل

لقد تمتع الإمام بنوع من النظم خلال طي مراحل حياته المليئة بالأحداث، بحيث أن المحيطين به قد كرروا القول بأن: «**نظم الإمام وصل إلى حدٍ يستطيع الإنسان معه أن يضبط ساعته طبقاً لتنفيذ الإمام لأعماله. فمرافقو الإمام في النجف كانوا يعرفون من حركته وسكونه، ونومه ويقظته، وجلوسه وقيامه، أي ساعة من النهار أو الليل هي تلك الساعة**».[422]

ونعدد مجدداً جانباً من النظم الدقيق لذلك الإمام العارف وفق ثلاثة محاور: الإجتماعي، والتعليمي والفردي:

أ. الأمور الإجتماعية

❖ البرمجة والتنظيم

بلا شك، كان يحكمُ الإمامَ برنامجٌ مدروس في إنجاز أهدافه وتحقيق آماله وتطلعاته. وإن مطالعة حركة الإمام الجهادية، منذ البداية وحتى النهاية، تدلُّ على أنّه كان محيطاً بنَسَق أحداث الثورة بالكامل: في البداية ينتقد الحكومة الجائرة، ومن ثم يتوجه نحو الأركان الأصلية للنظام البائد، وحتى العوامل الخارجية. بعد ذلك ينصرف إلى تربية وتعليم الكادر اللازم للمستقبل، ويختبرهم في ميدان العلم والعمل. وبتدوين نظرية ولاية الفقيه، يُبيِّن الأسس النظرية لبرنامجه وحركته أمام المجتمع. في المرحلة التالية، تعرّف

على نقاط القوة والإمكانات المتوفرة، وبحسب ما يتناسب مع قدراتهم وطاقاتهم، سلّمهم مسؤوليات ونظم القوى الثورية معتمداً أدقَّ المِلاكات في انتخاب القوى وتفويض المسؤوليات لها.[423]

❖ الرقابة والتدقيق

إن دقة نظر الإمام ونظمه فيما يتعلق بالرقابة والتدقيق على الأعمال هي من الأمور التي تستحق الثناء كثيراً، إلى الحد الذي قد قالوا معه: «**كانت رقابته على أعمال مسؤولي النظام، بعد تشكيل الحكومة، ومن شخص بمثل سنّه وقدرته الجسمانية عملاً يثير الإعجاب والعجب في آن. فهو على الرغم من جميع المغرضين الذين كانوا يسعون في الظروف المختلفة لايجاد الأعذار المتفاوتة كي يتهموه بعدم الرقابة الدقيقة على الأحداث السياسية الجارية في المجتمع، كان له حضور في الأحداث حيث لمراتٍ ومراتٍ أدرك الآخرون عند نقل أحدث أخبارهم إليه، أنه كان قد علم بالخبر قبل ذلك..**».[424]

ويمكن القول إن مثل هذه الروحية كان لها من التجذر والعمق في نفس باني الجمهورية الإسلامية إلى الدرجة التي لم تؤثر أكثر الحوادث فجاعة بأدنى تأثير على نظْمه ودقته. التفتوا إلى هذا النموذج: «**يقول أحد المحيطين بالإمام، والذي كان قد لازمه لمدة خمس عشرة سنة في النجف: في الليلة التي سبقت شهادة الحاج السيد مصطفى، قال لي الإمام: "ذكرني غداً في الساعة التاسعة**

أن أهتم بأمر العجوز الشوشتري" . شخصياً، كنت أذهب في كل يوم إلى بيت الإمام الساعة الثامنة. وصبيحة تلك الليلة، عندما اقتربت من بيت الإمام، علمتُ للأسف أنّ الحاج السيد مصطفى قد انتقل إلى رحمته تعالى.

بناء عليه، إختلّ البرنامج المعتاد لبيت الإمام، وكانت الشخصيات والوفود تتوافد إلى بيت الإمام لتقديم العزاء. وبشكل تلقائي نسيت أنا أيضاً أن أنفذ ما أوصاني به الإمام في الليلة الماضية.

كانت الساعة التاسعة وعشر دقائق عندما ناداني الإمام وقال: "ألم يكن من المفترض أن تذكرني الساعة التاسعة بالعمل المتعلق بالعجوز الشوشتري؟» فقلت: أو مع هذه الحادثة التي قد وقعت؟! قال: «ماذا يعني هذا الكلام؟ قم وتعال معي". ودخل إلى الغرفة. وبشكل لا يلفت انتباه الناس. وضع مبلغاً من المال في ظرفٍ وأغلقه، وقال: "إذهب الآن فوراً إلى منزل ذلك العجوز الشوشتري واعطه هذا الظرف، واطمئنً على أحواله بالنيابة عني أيضاً!.."».[425]

❖ العلاقات

كان القائد الكبير للثورة الإسلامية أعظمَ شخصية سياسية ـ إجتماعية ودينية في هذا القرن، كما كانت مفردة «الخميني» الجميلة أشهر كلمة، حيث كانت تتكرر في الوسائل الإعلامية العالمية آلاف بل ملايين المرات. ومن البديهي أن يكون لمثل هذه

الشخصية أوسع العلاقات على الإطلاق مع شعوب الدنيا. وعليه، فإن لم تكن هذه العلاقات واللقاءات منظمة، فما الذي سوف يحدث؟

ولحسن الحظ، فإن الإمام كان قد أرسى نظاماً دقيقاً بدرايته وذكائه الخاصّين في هذا الميدان أيضاً، بحيث لا يتأذى الناس حين اللقاء به، ولا يُتلف وقت الإمام الثمين. يقول حجة الإسلام قرهي بهذا الشأن: «**طوال حوالي عشر سنين كنتُ خلالها في النجف في خدمة الإمام، شاهدت منه أعمالاً كانت بالنسبة لي قدوة بالفعل: وإحدى هذه الأمور كانت نظمه في أعماله. فقد كان للإمام برنامج منظَم بحيث كنت يوميا بعد ساعتين ونصف من غروب الشمس أذهب وأدعوه كي يتفضل بالخروج إلى غرفة الاستقبال. وقد صار ذلك بمثابة القانون: يخرج الإمام ويبقى في غرفة الاستقبال لمدة نصف ساعة، حيث يقوم بعد مرورها بالتمام والكمال لزيارة الحرم: ولم يكن هذا البرنامج المنظم ليقبل التغيير أبدا**».[426]

ب. الأمور التعليمية

إستقرّ الإمام الخميني رحمة الله عليه في جوار أعظم علماء الإسلام وفقهائه، وكان صاحب رؤية وفكر بديع في كثير من العلوم.

وإضافة إلى ذلك، فقد منح الصفاء بنظمه وانضباطه لمحيط

التعليم والتربية المليء بالمعنويات، وكان أيضاً منظماً ومرتباً في التحقيق والتحصيل والتدريس بشكل جِدّي حيث نقرأ فيما يلي عن هذه الخصوصية:

❖ في التحصيل

أيام التحصيل والدراسة. اتسمت حياة الإمام ايضاً بالنظم والبرمجة بنحوٍ خاص، فضلاً عن المثابرة والجدية.

يقول آية الله بني فضل: «**لقد حضرت عند الإمام حوالي ثماني سنوات في "درس الخارج" في الفقه والأصول. فكان دائما يحضر إلى جلسة الدرس في وقت محدد.. ومن المعروف أن الإمام نفسه كان يحضر في مرحلة التحصيل بشكل منظم، وعلى الوقت، في جلسات درس أساتذته.**

كان المرحوم آية الله الشاه آبادي (أستاذ الإمام في العرفان والأخلاق) يقول بشأن علاقة الإمام بالنظم والحضور في جلسات الدرس: "روح الله هو حقيقة روح الله. لم يحدث يوما أن رأيته حضر إلى الدرس بعد «بسم الله» (بدايته)، بل كان يحضر قبل أن أقول (كلمة) «بسم الله»" .»[427]

❖ في التحقيق

يقول السيد البروجردي (صهر الإمام) بهذا الشأن: «**على الرغم من أن غرفة الإمام كانت مليئة بالكتب والأوراق، فإن كل ورقة كان يريدها، كان يجدها على الفور. ولأجل ذلك، فقد وضعها كلها**

بنفسه في مكان مخصوص وبشكل منظّم.

ورعايته للوقت كانت دقيقة جداً كذلك. بشكل متكرر، صادف أن كنت في خدمته قبل أن يتفضل بالخروج إلى الدرس، وإلى اللحظات الأخيرة كان ينشغل بالكتاب، لكن حينما يحين وقت الدرس، يقوم من مكانه ويغادر إليه بسرعة».(428)

ويقول شخص آخر من الذين عرفوا الإمام رحمة الله عليه: «**في نفس ذلك اليوم الذي اعتقل فيه الابن العزيز للإمام، العلامة الشهيد السيد مصطفى من قبل النظام البعثي العراقي المعادي للإسلام وتمّ نقله إلى بغداد، لم يظهر أدنى تغيير في برنامج الإمام التدريسي. وأستطيع أن أقول أنه غاص في ذلك اليوم بشكل أعمق وأوسع في المباحث العلمية المختلفة، من سائر الأيام الأخرى**».(429)

❖ في التدريس

كانت حوزة درس الإمام في زمانه تعدُّ من أعظم الحوزات العلمية وأكثرها قيمة. وقد استفاد باني الجمهورية الإسلامية من مثل هكذا موقعية أفضلَ استفادة، لأجل صناعة الكادر للنظام الاسلامي. وكان من بين الخصائص المهمة لهذه الحوزة العلمية، النظمُ الحاكم عليها.

يوضح حجة الإسلام غيوري نظام درس الإمام كالتالي: يقول: «**لم يكن في كل الحوزة العلمية بقمّ درس أكثر تنظيماً من درسه، وقد تحدثنا أيضاً مع الحوزات الأخرى (علماء الحوزات الأخرى**

مثل النجف وأصفهان ومشهد) فلم نجد درساً أكثر تنظيماً، ولن نجد. ولأجل ذلك، فقد أنهى دورة أصولية في أربع سنوات ونصف. وباستثناء أيام العيد والوفيات والجمعات، حيث كانت الدروس تعطل بشكل معتاد، لم يعطل أكثر من يومين؛ ونحن لا نجد في كل الحوزة العلمية لقم أصلاً، أي درس بهذا النظم والترتيب».[430]

ج. الأمور الفردية

كان باني الجمهورية الإسلامية الإيرانية يعتبر نفسه مكلفاً برعاية النظم والترتيب في الأمور الشخصية والفردية أيضاً: «**كان الإمام ينجز بنفسه جميع أعماله الشخصية، من قبيل ترتيب غرفته، وتنظيم الرسائل والأخبار، بل وحتى عمل الأرشيف المعقّد».**[431]

وفيما يلي، نعيد طرح ثلاثة نماذج من نظم الإمام وترتيبه في الأعمال الشخصية:

❖ العبادة والزيارة

كان الإمام الراحل سلام الله عليه يقوم بكل عبادة ومناجاة وزيارة وفق برنامج منظم ودقيق. يقول حجة الإسلام أنصاري: **«طوال خمس عشرة سنة في النجف، كان الإمام يقرأ "الزيارة الجامعة" بشكل منظم في جميع الليالي. باستثناء الليالي التي**

كان يذهب فيها إلى كربلاء أو يكون فيها مريضاً بشدة فلا يستطيع أن يخرج. وكان يأتي في كل ليلة إلى حرم مولى المتقين في ساعة خاصة ويقرأ "الزيارة الجامعة".. كان الإمام في جميع الزيارات المخصوصة يسافر من النجف إلى كربلاء، ويزور ابا عبدالله الحسين ﷺ، بينما في طهران كان يؤدي هذه الزيارات بشكل آخر».(432)

ويقول: «هي خمسون سنة تلك التي لم يترك الإمام صلاة الليل خلالها! فالإمام كان يصلي صلاة الليل في الصحة والمرض، في السجن والحرية، في الإبعاد، وحتى على فراش المستشفى أيضاً.

في تلك الليلة التي مرض فيها الإمام في قم وانتقل إلى طهران، كان الطقس بارداً جداً، والطرقات يعلوها الجليد، وسيارة الإسعاف قطعت طريق قم - طهران في عدة ساعات. في نفس تلك الليلة صلى صلاة الليل أيضاً في مستشفى الامراض القلبية. وفي الليلة التي كان عائداً فيها من باريس إلى طهران، نام الجميع في الطائرة، وفقط الإمام هو الذي كان يصلي صلاة الليل في الطابق العلوي للطائرة».(433)

❖ النوم والطعام

لم يضيع الإمام ولو لحظة واحدة من عمره الثمين. وكان دائماً مشغولاً بالعمل، وفي عين انشغاله كان منظماً جداً. وقد ألمَّ أهل بيت الإمام بنمط حياته بنحوٍ أوتوماتيكي، فكانوا يعلمون بشكل

دقيق متى ينام الإمام، ومتى يستيقظ، وفي أي ساعة يشرب الشاي...[434]

يقول أحد أفراد بيت الإمام (زوجته على ما يبدو): «**في بعض الأوقات كنت آتي إليه وأقول: العشاء جاهز، هل أحضره؟ فينظر إلى الساعة ويقول: الآن، قد بقي لوقت العشاء عشر دقائق.**

ولو أن شخصاً في أي ساعة من النهار كان يسأل: ما الذي يفعله الإمام الآن؟ كنا بدون أن نرى الإمام نستطيع بسهولة كبيرة أن نحدد بأي عملٍ هو مشغول في تلك اللحظة».[435]

❖ الرياضة

كان إمام الأمة رحمة الله عليه يعتبر مقداراً من الرياضة أمراً لازماً لسلامة البدن، حيث التزم بذلك، وبشكل منظم، كجزء من برنامج حياته؛ إلى حدٍّ أن الزنزانة الإنفرادية لم تحدث خللاً في هذا البرنامج.

يقول السيد الدكتور البروجردي حول هذا الأمر: "**على أثر اعتقال الإمام في الخامس عشر من شهر خرداد، فقد أبقوه في مكانٍ لمدة خمس عشرة يوماً، ثم وضعوه في زنزانة انفرادية لمدة 24 ساعة، حيث يقول الإمام نفسه: «كان طول تلك الغرفة أربعة أقدام ونصف، ولقد مشيت هناك لثلاث مرات، مدة ساعة، طبق برنامجي اليومي**" .[436]

المصادر

(1) سورة السجدة، الآيات 7 - 9.
(2) سورة التين، الآية 4.
(3) نهج البلاغة، ج 1.
(4) سورة العصر، الآيات 2 - 3 .
(5) سورة البقرة، الآية 124.
(6) مصباح الهداية.
(7) سورة الأحقاف، الآية 46.
(8) سورة المؤمنون، الآية 57.
(9) سورة الفتح، الآية 29.
(10) نهج البلاغة، خطبة المتقين.
(11) نهج البلاغة، خطبة المتقين.
(12) نهج البلاغة.
(13) نهج البلاغة، ج 1.
(14) سورة المجادلة، الآية 11.
(15) المجلسي، بحار الأنوار، ج 2، ص 14.
(16) مجلة «پاسدار اسلام» (حارس الإسلام)، العدد 14، ص 28.
(17) المذكرات الخاصة عن سيرة الإمام الخميني، مصطفى وجداني، ج 2، ص 152.
(18) سورة الرعد، الآية 28.
(19) شرح غرر الحكم، ج 2، ص 414.
(20) المذكرات الخاصة، ج 2. (لم تذكر الصفحة في النسخة الأصلية).
(21) سورة الانشراح، الآية الأولى.
(22) الشهر الثالث من السنة الشمسية الإيرانية (المترجم).
* سيارة السافاك الذين اعتقلوا الإمام (المترجم).
(23) المذكرات الخاصة، ج 4، ص 130.
(24) المذكرات الخاصة، ج 6، ص 140.
(25) سورة يوسف، الآية 108.
(26) اقتباس من مجلة «الحوزة»، العدد 49، ص 163 - 165.
(27) المذكرات الخاصة، ج 6، ص 115.
(28) سورة البقرة، الآية 165.
(29) مفاتيح الجنان. دعاء أبي حمزة الثمالي.
(30) «ياد يار» (ذكرى الحبيب). عدد خاص من صحيفة «جمهورى اسلامى» (الجمهورية الاسلامية)، خرداد 69 هـ ش.

(31) مجلة «الحوزة» العدد 49، ص 29 - 30.
(32) سورة الأنفال، الآية 72.
(33) الحياة السياسية للإمام الخميني، محمد رجبي، المقدمة، ص7.
(34) المذكرات الخاصة، ج 4، ص121.
(35) المذكرات الخاصة.
(36) مجلة «پيام انقلاب» (نداء الثورة)، العدد 102 و 103.
(37) سورة الشمس، الآيات 9 - 10.
(38) ديوان الإمام علي (ع).
(39) شرح غرر الحكم، ج5، ص 320.
(40) شرح غرر الحِكَم، ج 2، ص 38.
(41) المذكرات الخاصة، ج 6، ص144.
(42) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 105.
(43) المذكرات الخاصة، ج 5، ص 87.
(44) المذكرات الخاصة، ج 5، ص109.
(45) سورة الأنعام، الآية 162.
(46) المذكرات الخاصة، ج5، ص 32.
(47) المذكرات الخاصة، ج1، ص 153.
(48) المصدر نفسه، ج 5، ص 110.
(49) شرح غرر الحكم، ج 3، ص 365.
(50) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 105.
(51) المذكرات الخاصة، ص 90.
(52) المذكرات الخاصة، ص 90.
(53) المذكرات الخاصة، ج 4، ص 133.
(54) أصول الكافي، ج 2، ص 231.
(55) المذكرات الخاصة، ج 5، ص 168.
(56) المذكرات الخاصة، ج 4، ص 125.
(57) المذكرات الخاصة، ج 4، ص 42.
(58) المصدر نفسه، ج 4، ص 108.
(59) المصدر نفسه، ج 5، ص 61.
(60) سورة البقرة، الآية 2.
(61) مفردات القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 530.
(62) المقالات العشر، الشهيد المطهري، المقالة الأولى والثانية؛ وميزان الحكمة، ج 10، عنوان 556.
(63) سورة الفرقان، الآية 74.
(64) سورة العنكبوت، الآية 69.
(65) سورة الإسراء، الآية 57.
(66) وسائل الشيعة، ج 11، ص 172.
(67) المذكرات الخاصة، ج3، ص 32.
(68) المصدر نفسه، ج 6، ص 123.
(69) المذكرات الخاصة، ج 4، ص 34.

(70) شـــرح غـــرر الحـكم، ج 1، ص 393. طبعة الجامعة.

(71) مـجلة «پاسـدار اسـلام» (حـارس الاسلام)، العدد 14، ص 34.

(72) «سمات الحكماء»، ج3، ص104.

(73) المذكرات الخاصة، ج5، ص164.

(74) شـــرح نهج البـــلاغـــة، ابن ابي الحديد، ج 11، ص91، خ 209.

(75) هذا الانقـلاب هـو انقـلاب كـان بعض ضباط القوة الجوية في الجيش من آزلام الشاه يزمعون القيام به، حيث قـضى المخطط بقـصف بيت الإمـام بالطائرات الحربية، بهدف إنهاء الثورة لكنه اكتشف قبل حدوثه، وتم اعتقال المخططين والمشاركين.

(76) مـجلة «پاسـدار اسـلام»، العـدد 93، ص 29.

(77) المذكرات الخاصة، ج 2، ص24.

(78) المصدر نفسه، ج 1، ص 100.

(79) بحـــار الأنوار، ج 2، ص 260.

(80) المذكـرات الخـاصـة، ج 2، ص 148.

(81) جـريدة «جـمـهـورى اسـلامى» (الجـمـهورية الاسـلامـيـة) بتاريخ 17 خرداد 1368 هـ.ش، ص 6.

(82) المذكرات الخاصة، ج5، ص 164.

(83) المصدر نفسه، ج 4، ص 136.

(84) بحار الأنوار، ج 41، ص 105.

(85) الراتب الذي يقبضه طالب الحوزة شهرياً من سهم الإمام(ع).

(86) شـرح غـرر الحكم، ج 2، ص 209، طبعة الجامعة.

(87) المصدر نفسه، ج 1، ص 157.

(88) شـرح غـرر الحـكم، ج 1، ص 79 و 260.

(89) مـجلة «الحـوزة»، العـدد 49، ص 160.

(90) المذكرات الخاصة، ج 3، ص 18.

(91) المصدر نفسه، ج 5، ص 32.

(92) مُـجلة «الحـوزة»، العـدد 49، ص 160.

(93) المذكرات الخاصة، ج 5، ص 30.

(94) المصدر نفسه، ص 34.

(95) بحار الأنوار، ج 7، ص 243.

(96) المذكرات الخاصة، ج2، ص 101.

(97) المصدر نفسه، ج 3، ص 37.

(98) المصدر نفسه، ج 2، ص 100.

(99) المذكرات الخاصة، ج5، ص 36.

(100) سورة سبأ، الآية 46.

(101) المذكرات الخاصة، ج5، ص 43.

(102) مجلة «الحوزة»، العدد 12، ص 43 - 44.
(103) المذكرات الخاصة، ج 2، ص 94.
(104) مجلة «الحوزة»، العدد 12، ص 43 - 44.
(105) "حديث الشمس"، ص 111، و 118، و 120.
(106) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 121.
(107) سورة الطلاق، الآية 3.
(108) تم نقل ترجمة هذه المقطع من كتاب «وصايا عرفانية» - وصية «بلسم الروح»، ترجمة السيد عباس نور الدين، ومن إصدار مركز بقية الله الأعظم(ع) للدراسات والنشر، ص 60 - 59 - الطبعة الأولى 1998.
(109) مكارم الأخلاق، ص 468.
(110) صحيفة النور، ج 1، ص 40.
(111) المذكرات الخاصة، ج 5، ص 59 - 60.
(112) شرح غرر الحكم، 5، ص 425.
(113) مجلة «نور العلم»، الدورة الثالثة، العدد 7، ص 114.
(114) المذكرات الخاصة، ج3، ص 23.
(115) سورة العنكبوت، الآية 59.
(116) مجلة «پاسدار اسلام»، العدد 96، ص 40.
(117) المذكرات الخاصة، ج3، ص 84.
(118) «حديث الشمس»، ص 117.
(119) المذكرات الخاصة، ج 3، ص 31.
(120) سورة الأنفال، الآية 45.
(121) جريدة «جمهورى اسلامى» بتاريخ 68/4/18 هـ.ش. "حديث الشمس"، ص 116.
(122) المذكرات الخاصة، ج 2، ص 58 - 59.
(123) المصدر نفسه، ج1، ص 57.
(124) مجلة «الحوزة»، العدد 49، ص 156 - 157.
(125) مجلة «الحوزة»، العدد 49، ص 157.
(126) شرح غرر الحكم، ج 2، ص 415.
(127) صحيفة النور، ج 20، ص 244.
(128) قاموس «فرهنكك عميد»، ص 833.
(129) الحياة، ج 4، ص 272.
(130) مجلة «پاسدار اسلام»، العدد 96، ص 30.

(131) المذكرات الخاصة، ج 4، ص 55.
(132) سورة الاسراء، الآية 29.
(133) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 52 - 53.
(134) المصدر نفسه، ج6، ص26.
(135) المصدر نفسه، ص 29-30.
(136) اقتباس من مجلة «الحوزة»، العدد 47، ص 100، بتصرف.
(137) "ميزان الحكمة"، الريشهري، ج 4، ص 264.
(138) المذكرات الخاصة، ج 2، ص 84 - 85.
(139) المصدر نفسه، ج 4، ص 132.
(140) الحياة، ج 4، ص 264.
(141) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 110 - 111.
(142) المصدر نفسه، ص 105.
(143) المذكرات الخاصة، ج 6، ص 89.
(144) شرح غرر الحكم، ج 2، ص 259.
(145) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 11.
(146) المذكرات الخاصة، ج 6، ص 140.
(147) لم يذكر هامش هذا النقل في المصدر الأصلي والمترجم.
(148) بحار الأنوار، المجلسي، ج 70، ص 25.
(149) "ميزان الحكمة"، الريشهري، ج 6، العنوان 331.
(150) بحار الأنوار، المجلسي، ج 78، ص 247.
(151) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 121.
(152) المصدر نفسه، ص 126.
(153) المصدر نفسه، ص 96.
(154) قال رسول الله (ص): **«الصلاة معراج المؤمن»**. "الاعتقادات"، المجلسي، ص 29.
(155) **﴿استعينوا بالصبر والصلاة..﴾** سورة البقرة، الآية 45.
(156) قال رسول الله(ص): **«قرة عيني الصلاة»**. بحار الأنوار، المجلسي، ج 77، ص 77.
(157) سر الصلاة، الامام الخميني، مقدمة الصفحة الثلاثين. طبعة مؤسسة تنظيم آثار الإمام الخميني.

* بيت شعر بالفارسية.
(158) سر الصلاة، الامام الخميني، ص 22. ترجمة السيد أحمد الفهري، دار التعارف، بيروت.
(159) مجلة «پاسدار اسلام»، العدد 92، ص 31.
(160) مجلة «پيام انقلاب» (نداء الثورة)، العدد 61، (لم يذكر رقم الصفحة في المصدر الأصلي).
(161) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 65.
(162) الجهاد الأكبر، الإمام الخميني، ص 40، انتشارات الهدى.
(163) الجهاد الأكبر، ص33 - 34.
(164) "ميزان الحكمة"، ج 5، ص 471.
(165) مجلة «پاسدار اسلام»، العدد 93، ص 31.
(166) المذكرات الخاصة، ج 4، ص 129.
(167) المصدر نفسه، ج 1، ص 98.
(168) المذكرات الخاصة، ج 4، ص 129.
(169) سورة المزمّل، الآية 20.
(170) المذكرات الخاصة، ج 2، ص 52.
(171) سورة محمد، الآية 24.
(172) "طريق العشق"، ص 27 - 28، بتلخيص.
(173) "الشمس التي لا تأفل" (خورشيد بى غروب)، ص 18، بتلخيص.
(174) صحيفة النور، ج 21، ص 170.
(175) الوصية السياسية الإلهية، ص 3.
(176) الجهاد الأكبر، ص 31.
(177) سورة الفرقان، الآية 77.
(178) المذكرات الخاصة، ج 4، ص 129.
(179) المصدر نفسه، ج 2، ص 53.
(180) المصدر نفسه، ج1، ص 121.
(181) سورة الذاريات، الآيات 17-18.
(182) المذكرات الخاصة، ج 3، ص 29.
(183) المصدر نفسه، ج 3، ص 85.
(184) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 126.

(185) وسائل الشيعة، ج 1، باب 18، حديث 187.
(186) المذكرات الخاصة، ج 2، ص 53.
(187) المصدر نفسه، ج 3، ص 29 و 31.
(188) سورة آل عمران، الآية 103.
(189) الميزان، ج 3، ص 379.
(190) سورة المائدة، الآية 35.
(191) بحار الأنوار، المجلسي، ج 94، ص 22.
(192) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج 16، ص 211.
(193) المصدر السابق نفسه.
(194) مقتل الحسين للخوارزمي، ج 1، ص 186، طبعة المفيد.
(195) الأربعون حديثا - الحديث الحادي والثلاثين، الإمام الخميني، ص 462.
(196) خط الإمام، كلام الإمام، ج 2، ص 14.
(197) البلاغ، ج 2، ص 186.
(198) المصدر نفسه، ص 180.
(199) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 90 - 91.
(200) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 122.
(201) المصدر نفسه، ص 98.
(202) مجلة «الحوزة»، العدد 37، ص 64.
(203) المذكرات الخاصة، ج 5، ص 71 - 72.
(204) المصدر نفسه، ج 2، ص 56 - 55.
(205) المصدر نفسه، ج 1، ص 48 - 49.
(206) المصدر نفسه، ج 4، ص 55.
(207) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 120.
(208) المذكرات الخاصة، ج 5، ص 128 - 130.
(209) جامع السعادات، النراقي، ج 1، ص 394.
(210) سورة الشعراء، الآية، 214 - 215.
* من المترجم
(211) المذكرات الخاصة، ج 5، ص 177.
(212) المصدر نفسه، ص 73.
(213) المذكرات الخاصة، ج 2، ص 72.

(214) جـــريدة «رســـالـت» (الرســالـة)، العــدد 996، ص 3 (اقتباس).
(215) المذكـرات الخـاصـة، ج 1، ص 101.
(216) المصـدر نفسـه، ص 103. (اقتباس).
(217) مجلة «پاسدار اسلام»، شهر تير، سنة 1368 هـ.ش، ص 1.
(218) مجلة «آينه سازان» (صنّاع المسـتقـبل)، العـدد 13، شـهـر خرداد لسنة 72 هـ.ش، ص 6.
(219) جــريدة «اطـلاعــات» (الأمن)، العدد 19631.
(220) مـــجلـة «زن روز» (المرأة المعاصرة)، العدد 1267، ص 15.
(221) المذكـرات الخـاصـة، ج 1، ص 104. (اقتباس).
(222) جـريدة «اطلاعات»، العدد 19631.
(223) المصدر السابق.
(224) المذكـرات الخـاصـة، ج 2، ص 101.
(225) جـريدة «كـيـهـان أنديشـه» (العالم الثقافي)، العدد 29، ص 6.
(226) المذكرات الخـاصة، ج 6، ص 86. (اقتباس).
(227) مـــجلـة «الحـــوزة»، السنة السادسة، العدد 32.
(228) المذكرات الخـاصة، ج 3، ص 157.
(229) المصدر نفسه، ج 4، ص 10.
(230) بحار الأنوار، ج 1، ص 389.
(231) المصدر نفسه، ص 398.
(232) المصدر نفسه، ص 384.
(233) المصدر نفسه، ج71، ص 38.
(234) شـرح غـرر الحكم، ج 1، ص 339.
(235) المصـــدر نفـســـه، ج 3، ص 392.
(236) سورة القلم، الآية 4.
(237) بحــــار الأنوار، ج 71، ص 387.
(238) شـرح غـرر الحكم، ج 3، ص 391.
(239) شـرح غـرر الحكم، ج 5، ص 451.
(240) المصـــدر نفـســـه، ج 5، ص 306.

(241) مجلة «آشنا» (الصديق)، العددان 11 - 12، السنة الثالثة، ص 57.
(242) المذكرات الخاصة، ج 2، ص 6 - 9.
(243) المصدر نفسه، ص 87.
(244) المذكرات الخاصة، ج 3، ص 31.
(245) المصدر نفسه، ص 30.
(246) مجلة الحوزة، العدد 32، ص 73.
(247) مجلة «پاسدار اسلام»، العدد 98، ص 30.
(248) الميزان، ج 17، ص 22.
(249) سورة فاطر، الآية 10.
(250) سورة المنافقون، الآية 8.
(251) وسائل الشيعة، ج 11، ص 424.
(252) بحار الأنوار، ج 44، ص 192.
(253) شرح غرر الحكم، ج 3، ص 135.
(254) "سمات الحكماء"، رضا مختاري، ج 3، ص 159 - 160.
(255) بحار الأنوار، ج 70، ص 285.
(256) المذكرات الخاصة، ج 6، ص 12.
(257) بحار الأنوار، ج 13، ص 420.
(258) مفاتيح الجنان.
(259) صحيفة النور، ج 19، ص 158.
(260) بحار الأنوار، ج 77، ص 232.
(261) «**الشجاعة أحد العزين**»: شرح غرر الحكم، ج 2، ص 23.
(262) «**القناعة تؤدي إلى العز**»، المصدر نفسه، ج1، ص 291.
(263) «**من صبر على مصيبة زاده الله عز وجل عزاً على عزه**»: بحار الأنوار، ج 82، ص 129.
(264) «**من ينصف الناس من نفسه لم يزده الله إلا عزاً**»: المصدر نفسه، ج 75، ص 33.
(265) «**من عفا عن مظلمة أبدله الله عزاً في الدنيا والآخرة**»: بحار الأنوار، ج 71، ص 401.
(266) «**ما من عبدٍ كظَم غيظاً إلاّ زاده الله عز وجل عزاً**»: المصدر نفسه، ص 409.

(267) **«من برىء من الشر نال العز»**: المصدر نفسه، ج 78، ص 299.
(268) مجلة «الحوزة»، العددان 37 - 38، ص 65. (تلخيص).
(269) صحيفة النور، ج5، ص 8.
(270) مجلة «الحوزة»، العدد 32، ص 66.
(271) المذكرات الخاصة، ج 5، ص 151.
(272) مجلة «الحوزة»، العددان 37 - 38، ص 108 - 109. (تلخيص).
(273) سورة الرعد، الآية 28.
(274) سورة طه، الآية 46.
(275) صحيفة النور، ج 16، ص 269 - 270.
(276) صحيفة النور، ج 21، ص 92.
(277) مجلة «الحوزة»، العدد 49، ص 35.
(278) المصدر نفسه، العدد 32، ص 66 - 67.
(279) مجلة «الحوزة»، العدد 49، ص 84.
(280) مجلة «الحوزة» العدد 3، ص 84.
(281) المصدر نفسه، العدد 32، ص 107.
(282) صحيفة النور، ج 15، ص 118.
(283) بحار الأنوار، ج 32، ص 238.
(284) المذكرات الخاصة، ج 4، ص 106.
(285) المذكرات الخاصة، ج 4، ص 106.
(286) مجلة «حضور، العدد 5 - 6، ص 129.
(287) الوصية السياسية الالهية، ص 38، مكتب وكلاء الامام الخميني في المسائل الشرعية والأمور الحسبية، بيروت - لبنان. 1990 (النص الفارسي في المصدر منقول عن نسخة وزارة الإرشاد الاسلامي، ص 16).
(288) جامع السعادات، ج 1، ص 208، اسماعيليان.
(289) سورة الفتح، الآية 29.
(290) بحار الأنوار، ج 25، ص 357.

(291) المذكرات الخاصة، ج 6، ص 12 - 13.
(292) شرح غرر الحكم، ج 4، ص 141.
(293) مجلة «الحوزة»، العدد 31، ص 18.
(294) مجلة «الحوزة»، العدد 49، ص 150.
(295) المذكرات الخاصة، ج 6، ص 26.
(296) المصدر نفسه، ص 111.
(297) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 20.
(298) المصدر نفسه، ج 6، ص 36 - 37.
* **عندما كان النماردة يريدون أن يلقوا حضرة إبراهيم(ع) داخل النار، قالت الملائكة: هل تطلب منا العون، فقال في جوابه: «حسبي الله».**
(299) المصدر نفسه، ج 4، ص 14.
(300) مجلة «پاسدار اسلام»، سنة 61 هـ.ش، العدد 13، ص 49.
(301) المصدر نفسه، ص 50.
(302) سورة البقرة، الآية 158.
(303) تفسير الميزان، ج 1، ص 384.
(304) سورة سبأ، الآية 13.
(305) صحيفة النور، ج 16، ص 154.
(306) سورة لقمان، الآية 14.
(307) بحار الأنوار، ج 71، ص 44.
(308) صحيفة النور، ج 2، ص 1.
(309) المصدر نفسه، ج10، ص 68.
(310) المصدر نفسه، ج 20، ص 193.
(311) الوصية السياسية ـ الإلهية، الدار الاسلامية، بيروت. ص 31 - 30.
(312) المصدر نفسه، ص 30.
(313) صحيفة النور، ج 13، ص 11.
(314) المصدر نفسه، ج 15، ص 106.
(315) المذكرات الخاصة، ج 4، ص 113 - 114. (بتلخيص).
(316) صحيفة النور، ج 14، ص 229.
(317) المصدر نفسه، ج 12، ص 250.

(318) صحيفة النور، ج 15، ص 41.
(319) المصدر نفسه، ج 6، ص 284.
(320) مجلة «پاسدار اسلام»، العدد 102، ص 36.
(321) الوصية السياسية - الإلهية، الدار الاسلامية، بيروت. ص 33.
(322) سورة الأعراف، الآيات 62, 68, 72. وسورة هود، الآية 34.
(323) سورة التوبة، الآية 128.
(324) مجلة «الحوزة»، العدد 38 - 37، ص 155.
(325) مجلة «الحوزة»، العدد 38 - 37، ص 319 - 320 - 323.
(326) المصدر نفسه، العدد 49، ص 154 - 155.
(327) المذكرات الخاصة، ج 2، ص 72 - 73. (بتلخيص).
(328) مجلة «پيام انقلاب» (نداء الثورة)، العدد 82.
(329) المذكرات الخاصة، ج 4، ص 131 - 132.
(330) المصدر نفسه، ج 2، ص 78.
(331) نهج البلاغة، الخطبة 200.
(332) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 114 - 115.
(333) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 11 - 12. (بتصرف).
(334) صحيفة النور، ج 20، ص 60.
* قانون القصاص كان الشهيد بهشتي (قده) قد أصدره.
(335) صحيفة النور، ج 15، ص 22 - 23.
(336) المصدر نفسه، ص 23.
(337) المصدر نفسه، ج20، ص 5.
(338) سورة الإسراء، الآية 55.
(339) سورة المجادلة، الآية 11.
(340) مجمع البيان، الطبرسي، ج 9 - 10، ص 378، دار المعرفة.
(341) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 13. (بتصرف).
(342) مجلة «الحوزة»، العدد 32، ص 115.
(343) المذكرات الخاصة، ج 5، ص 166.

(344) المذكرات الخاصة، ج 5، ص 165
(345) مجلة «نور العلم»، الدورة الثالثة، العدد السابع، ص 104. (بتصرُّف)
(346) بحار الأنوار، ج 1، ص 185.
(347) مجلة «الحوزة»، ج 32، ص 65. (بتصرُّف)
(348) المذكرات الخاصة، ج 5، ص 84.
(349) المصدر نفسه، ج 2، ص 30.
(350) الوصية السياسية ـ الإلهية، الدار الاسلامية، بيروت. ص 39 - 38.

*** اشارة إلى بيت شعر لمولوي يقول فيه:**

عطار هفت شهر عشق را كشت
ما هنوز اندر خم يك كوچه ايم
قطع عطار مدن العشق السبعة
ونحن لا زلنا عند منعطف زقاق

(351) صحيفة النور، ج 14، ص 196.

*** في صحيفة «الجمهورية الاسلامية» المؤرخة بتاريخ 62/2/9 هـ ش، ورد مكان «حضورنا» كلمة «حضوركم»؛ وهو الأصح.**

(352) صحيفة النور، ج 19. ص 296.
(353) صحيفة النور، ج 14، ص 208.
(354) المصدر نفسه، ج15، ص 52.
(355) صحيفة النور، ج 15، ص 153.

*** إشارة إلى الشهيد «فهميده»، الذي فجر نفسه في عملية استشهادية تحت الدبابات العراقية الغازية مع انطلاقة شرارة الحرب المفروضة.**

(356) صحيفة النور، ج 14، ص 60.
(357) سورة التوبة، الآية 128.
(358) سورة آل عمران، الآية 129.
(359) المذكرات الخاصة، ج 6، ص 24. (بتصرُّف)
(360) مجلة «پاسدار اسلام»، العدد 107، ص 35.
(361) صحيفة النور، ج 5، ص 3.
(362) المذكرات الخاصة، ج 2، ص 16.

(363) مجلة «پاسدار اسلام»، العدد 101، ص 30.
(364) المصدر نفسه، العدد 105، ص 37.
(365) مجلة «الحوزة»، العدد 32، ص 123 - 124.
(366) «مقتطفات من الأبعاد الروحية، الأخلاقية.. للإمام» (فرازهايى از ابعاد روحى. اخلاقى .. امام)، ص 69.
(367) صحيفة النور، ج 2، ص 294.
(368) المذكرات الخاصة، ج 4، ص 75 - 76.
(369) مجلة «پاسدار اسلام»، العدد 98، ص 31.
(370) المصدر نفسه، العدد 105، ص 37.
(371) «مناقشة وتحليل في ثورة الإمام الخميني» (بررسى وتحليلى از نهضت امام خميني)، حميد روحاني، ج 1، ص 582.
(372) مكارم الاخلاق، الطبرسي، ص 216، الأعلمي.
(373) المذكرات الخاصة، ج 2، ص 86 - 87.
(374) سورة المائدة، الآية 54.
(375) نهج البلاغة، ص 1243، الحكمة 325.
(376) سورة آل عمران، الآية 149.
(377) «مناقشة وتحليل في ثورة الإمام الخميني»، السيد حميد الروحاني، ج 1، ص 585.
* الشهر الأول للسنة الشمسية الايرانية.
(378) «مناقشة وتحليل في ثورة الإمام الخميني «السيد حميد الروحاني»، ج 1، ص 656 - 657.
(379) المصدر نفسه، ص 744.
(380) المذكرات الخاصة، ج 2، ص 14.
(381) صحيفة «جمهورى اسلامى» (الجمهورية الاسلامية)، الثالث من مرداد 68 هـ.ش، ص 10.
(382) صحيفة النور، ج 21، ص 86.
(383) صحيفة النور، ج 21، ص 118.
(384) المصدر نفسه، ج 20، ص 243.
(385) المصدر نفسه، ج 14، ص 270.

(386) صحيفة النور، ج 14، ص 274.
(387) المصدر نفسه، ج 21، ص 96.
(388) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 73.
(389) المصدر نفسه.
(390) صحيفة النور، ج 21، ص 96.
(391) صحيفة النور، ج 21، ص 92.
(392) سورة آل عمران، الآية 159.
(393) مجلة «پاسدار اسلام»، العدد 17، ص 1، نقلاً عن مجلة «الحوزة»، العدد 49، ص 151.
(394) و (395) **لم يشر في النص الأصلي إلى مصدر هذين القولين (المترجم).**
(396) مكارم الاخلاق، الطبرسي، ص 28. طبعة بيروت.
(397) سيرة ابن هشام، ج 4، ص 135.
(398) نهج البلاغة، خطبة 215.
(399) بحار الأنوار، ج 21، ص 105.
(400) صحيفة النور، ج 19، ص 233 - 234.
(401) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 76.
(402) المصدر نفسه، ص 18.
(403) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 19.
(404) مجلة «پاسدار اسلام»، سنة 62 هـ.ش. العدد 17، ص 24.
(405) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 17.
(406) المذكرات الخاصة، ج 2، ص 17.
(407) المصدر نفسه، ج 1، ص 39.
(408) المصدر نفسه، ص 73.
(409) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 50.
(410) صحيفة النور، ج 21، ص 112.
(411) المذكرات الخاصة، ج 4، ص 133.
(412) "محرم السر". ص 20. مؤسسة نشر آثار الإمام.

(413) المذكرات الخاصة، ج 2، ص 82.
(414) المصدر نفسه، ج 1، ص 15.
(415) **لم يذكر هامش يشير إلى مصدر الاقتباس في النص الأصلي. (المترجم)**
(416) نهج البلاغة، الرسالة 47.
(417) المصدر نفسه، الخطبة 157.
(418) المذكرات الخاصة، ج 4، ص 49.
(419) المصدر نفسه، ج 6، ص 80.
(420) بحار الأنوار، ج 67، ص 362.
(421) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 117.
(422) المصدر نفسه، ص 105.
(423) مجلة «الحوزة»، العدد 49، ص 18.
(424) المصدر نفسه.
(425) المذكرات الخاصة، ج 1، ص 63 - 64. (بتلخيص).
(426) المصدر نفسه، ج 6، ص 129. (بتصرُّف).
(427) مجلة «الحوزة»، العدد 49، ص 38 - 39.
(428) المذكرات الخاصة. ج 3. ص 21.
(429) المذكرات الخاصة. ج 1، ص 95.
(430) المصدر نفسه. ج 6. ص 95.
(431) المذكرات الخاصة. ج 2. ص 54.
(432) المصدر نفسه.
(433) المصدر نفسه. ص 51.
(434) المذكرات الخاصة. ج 2. ص 61.
(435) المصدر نفسه. ج 4. ص 50.
(436) المصدر نفسه. ج 3. ص 26.